A-PDF Image Downsample DEMO: Purchase from www.A-PDF.com to remove the watermark

دراسات في الفكر القرآني

د. رحيم الساعدي

دار الفراهيدي للنشر والتوزيع

دراسات في الفكر القرآني
د. رحيم الساعدي

دراسات
في الفكر القرآني

الدكتور
رحيم الساعدي

دار الفراهيدي للنشر والتوزيع
العراق . بغداد . قرب ساحة الفردوس

حقوق النشر محفوظة

لايجوز نسخ هذا الكتاب أو إعادة طبعه
إلا بإذن خطي من الناشر والمؤلف

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٦٥٢ لسنة ٢٠١٠

العنوان : دراسات في الفكر القرآني
المؤلف : د . رحيم الساعدي
عدد الصفحات : ١٥٢
الطبعة الأولى ٢٠١٠

دار الفراهيدي للنشر والتوزيع العراق . بغداد . قرب ساحة الفردوس

الإهداء

إلى أستاذي

الدكتور كامل مصطفى الشيبي

وداً وعرفاناً

مقدمة

ينتهي بعد حقبة . طالت أم قصرت . مفعول الكتب المختلفة الموضوعات ، لأنها تحمل في داخلها نسبيتها ومحدوديتها ،وهذا خلاف ما نلاحظه في القرآن الكريم ، ومع القوة الفكرية والعلمية والمعنوية في ذلك الكتاب المقدس فان الكثير من مفكري المسلمين تباطؤا عن تناول علوم القرآن من زوايا عدة متنوعة مختلفة الطابع أو النمط ،ولست احمل هنا ادعاء بتقديم ما هو جديد ،لكنها دعوة و محاولة لتناول المختلف من الفكر القرآني .

ولقد وددت تناول موضوعات مهمة تخص الفكر القرآني ،الا ان وقتا تأمليا لم أجده وسط ضجيج الحضارة استطيع من خلاله طرح كل ما هو مختلف .

ولعل من الموضوعات التي تكتسب أهمية بالغة و يمكن للمرء ان يشغل بها ويعتني ببحثها هو مفهوم الأحاسيس المختلفة التي تتوزع في القرآن الكريم ومشاعر الفئات المتباينة وتحليل تلك المشاعر وقراءة توظيفها او دراسة نفسية الأفراد والشخصيات التي أوردها القرآن من زاوية الحس والأحاسيس المختلفة وتوظيف النتائج في قاعدة بيانات واسعة لسبر أغوار طبيعة الأمم السابقة بشكل دقيق وواقعي ،مع الاعتماد والمقارنة بالنص النبوي الشريف وأحاديث الأئمة المعصومين (عليهم السلام).

وربما يمكن للفرد تناول الأبعاد الثنائية أو الثلاثية أو الرباعية التي تنطوي عليها الصور الكثيرة في ذلك الكتاب المحفوظ والتي منها صور العذاب مع صورة الزمن وصورة الحس بالتزامن مع الأرضية الغيبية القرآنية المفعمة بالميتافيزيقا التي تتعالى على الزمان والمكان وهو ما يتراءى لنا في صورة الجنة و صورة الأبد (ديمومة الزمان المطلق)مع صورة الحس والمشاعر المختلفة في ذينك المفهومين المتلازمين (الزمان والمكان).

ان الحديث عن الأبعاد القرآنية المختلفة من الجانب البصري او الفكري يمثل أيضا طفرة في العلوم المختلفة بالإضافة إلى أبعاد الفكر ، ففي الجانب او المنهج الشمولي للمعرفة القرآنية ، فإنني أتوقع ان تكون الأبحاث القرآنية في المستقبل القريب على أساس :(**رسم أبعاد الصورة) : من جوانب الحواس (صورة- ملمس- رائحة – تذوق- سماع)+ الفكر + الافتراض المبني على أساس الحدس + قاعدة البيانات الثقافية للباحث**)

ومثال ذلك يمكن توظيفه في قصة الكهف التي يتوجب بناؤها معرفيا لاكتشاف أسرارها على بحث الجوانب الحسية فيها من معرفة طبيعة المكان والزمان ،ومعرفة العناصر المادية في القصة من الألوان والأشكال وطبيعة البيئة ، ومعرفة الأدوات التي في القصة ،ومن جهة أخرى معرفة طبيعة جميع الأشخاص في القصة وأرضيتهم الفكرية والنفسية ودراسة المجتمع ،كما يجب

توفر معرفة بالفسلجة والمعرفة الميتافيزيقية ومقارنة كل ذلك من زاوية الجانب الفكري بالاستعانة بقاعدة البيانات الثقافية الواسعة ويبقى ان كثير من النتائج يمكن الحصول عليها بوساطة الحدس او الفكر او كليهما . هنا يمكننا رسم صورة ثلاثية او خماسية او حتى سباعية لمشهد أصحاب الكهف فيحيط العقل بوضوح بأسرار تلك القصة او غيرها في القرآن الكريم .

وربما يكشف لنا المستقبل وذلك مع تطور الوسائل الالكترونية لدينا أسلوبا لمعرفة أسرار القرآن الكريم سيما ما خص علوم الرياضيات فيه ،التي لا شك لدي ان الغرب يعمل(حاليا) على فتح مجاهيل هذه الأسرار .

ان مساحة من الأفكار لا حدود لها تفترش الكتاب المقدس ،الا ان خيالا مكبلا بشتى القيود يمنعنا من استحضار الأفق الذي يلازم الفكر القرآني ،واعتقد جازما ان اعترافنا بعدم التنقيب المعرفي والفكري الجاد في القرآن الكريم هو الخطوة الصحيحة لمحاولة بناء المعارف الضخمة ، بل وبداية رسم الخريطة المعرفية والحضارية.

وفي هذه الأوراق القليلة حاولت تناول أربعة أبعاد أظن أنها تتسم بالأهمية والضرورة ، فالبعد المتعلق بمفهوم الشيء في القرآن يعني خوضا في البنية التحتية للقران ، مما يشير إلى محاولة فهم المفاصل الفكرية وأسرار المفردات القرآنية بطريقة تختلط

بالفكر والمعرفة معا ، وسوف أتناول الحداثة المطلقة مقارنة بالحداثة النسبية التي تظهر وتختفي في كل زمن ،بالإضافة الى الفكر المستقبلي وتفصيلاته الذي يتوزع في اغلب الآيات القرآنية

ان الأبعاد الأربعة هذه تمثل قراءة تطلعية جزئية لفهم النص القرآني فما من شك ان الملايين من الزوايا المعرفية كامنة في القرآن لا نستطيع ان نمد أيدينا لاستخراجها ،ومجمل الأمر انها تحتاج إلى خيال ومعرفة وتوفيق.

هنا يمكن القول إنني حاولت على سبيل التغيير تناول مفاهيم مغايرة في القرآن هي اقرب إلى الفكر والفلسفة منها إلى آداب وبلاغة وعلوم القرآن ،لإيماني بضرورة التحول من البحث في الجانب الأدبي أو النحوي أو التفسيري وغير ذلك إلى البحث في البنى التحتية للقران وتقديم الأفكار المختلفة غير التقليدية والبحث في البنية الفكرية والمعرفية الأشد تعقيدا ،وذلك يعني إعادة قراءة العمق الفكري في القرآن بمناهج مختلفة منتجة،ولكن ليس على طريقة المفكر عبد الكريم سروش أو كتاب المغرب العربي ، فالتنمية القرآنية تحتاج إلى منهج استخراج الأفكار وليس إعادة تأهيل الخريطة الفكرية القرآنية،أو إثارة الخلاف القرآني (القرآني) ،تلك العملية – نعم - تؤدي بنا إلى صنع المفكر لوحده ،إلى صنع السوبر مفكر ،تلك المنهجية تتبنى الإثارة ولا تقوم برمي حجر في بركة الفكر

الإنساني فحسب بل تعمد إلى تمادي الحجر لكي يصنع زوبعة او إعصارا ربما لا تجدي نتائجه في زمن يحتاج المرء فيه إلى تأمل وسكينة واستراحة مفكر تؤدي به إلى صنع كل ما هو منتج أو مثمر يهتم ببناء الأمة الإسلامية وبناء أناسها على وفق الأفكار القرآنية التي سيثبت التاريخ بأنها تحمل أسباب بقائها وديمومتها .

وربما يجب التنبيه على ان بعدين من أبعاد البحث لم ينالا العناية المطلوبة وهو ما تمثل بمحاولة لفهم نظرية المعرفة القرآنية الذي هو جزء من فقرة مفهوم الشيء في القرآن وموضوع الإحساسات في القرآن الكريم والذي افهم بان به حاجة إلى التوسيع وتثبيت الآلية التي يمكن من خلالها استكشاف قيمة وقوة ونتيجة الإحساس الإنساني لدى الشعوب القديمة ومن ثم معرفة الأرضية المحركة للسلوك الإنساني في ذلك الوقت ،وآمل أن يتبنى الباحثون مسالة البحث في هذين الموضوعين أو غيرهما من المباحث التي تشكل ملامح أساسية للفكر القرآني .

د.رحيم الساعدي

الجامعة المستنصرية

٢٠١٠

الفصل الأول
مفهوم الشيء في القرآن الكريم

يجب الإقرار بالتقصير المتعمد أو غير المتعمد بالنسبة إلى تناول الأبحاث المختلفة في القرآن الكريم ،فالسفر الخالد الذي يحمل المعارف كلها يلزمنا باستخراج البعض منها تلك المعارف كما تؤكدها المقولة الشريفة فيها ، نبأكم ونبأ ما قبلكم ونبأ ما بعدكم ، وتعني الكلمة ان القرآن يحمل المعارف السابقة والحالية والآتية المستقبلية(ويمكن القول إن قراءة القرآن من غير ثقافة فلسفية لا يجدي لاستخراج ما فيه من فلسفة)([1]) .

وفي القرآن ذي الخواص العديدة التي منها الشمول والبلاغة والتنوع والكمال على المستويات كافة التي نعرفها وما لا يمكن معرفته اليوم ، تبرز جملة من المفاهيم التي تشكل مفاصل مهمة يجب ان تناقش باهتمام ومن ذلك مفهوم الشيء في القرآن الذي يبرز في اغلب مجمل الآيات القرآنية بشكل إشارة إلى كل :

١- ما هو مادي

٢- وغير مادي

ويقابله ان الله الذي هو ليس (شيئاً) او لا يشبه الأشياء جميعا أو ليس كمثله شيء مسيطر على كل الأشياء عالم بها، خالق لكل الأشياء وقد قال تعالى: (**خالق كل شيء**)(الزمر/٦٢)

---

1 - يحيى هويدي ،دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية،دار النهضة،القاهرة،١٩٧٢م ،ص٧٤

والشيء هو الذي يصح أن يعلم ويخبر عنه ، ويطلق على المؤنث والمذكر، ويقع على الموجود والمعدوم.

وعند بعضهم: الشيء عبارة عن الموجود وأصله: مصدر شاء،يطلق تارة بمعنى شائي (اسم فاعل) وهنا يتناول البارئ تعالى، كقوله سبحانه (قل أي شيء اكبر شهادة قل الله)(الأنعام/١٩) ويطلق بمعنى اسم المفعول تارة أخرى وهو بمعنى المشيء (فعل شيئا أو أراد فعل شي).

وإذا وصف به تعالى فمعناه: شاء، وإذا وصف به غيره فمعناه المشيء، وعلى الثاني قوله تعالى: ﴿قل الله خالق كل شيء﴾ [الرعد/١٦] (١).

من ناحية أخرى فان المشيئة عند أكثر المتكلمين كالإرادة سواء، وعند بعضهم: المشيئة في الأصل: إيجاد الشيء وإصابته، والمشيئة من الله تقتضي وجود الشيء؛ ولذلك قيل: (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن) فروي عن النبي (ﷺ) قال: (ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن).

والفرق بين الشيء والجسم : أن الشيء ما يرسم به بأنه يجوز أن يعلم ،ويخبر عنه ، والجسم هو الطويل العريض العميق ، والله تعالى يقول ، " وكل شيء فعلوه في الزبر " وليس أفعال العباد

---

١ - محمد حسين الاعلمي الحائري،دائرة المعارف الشيعية العامة ج١١،مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٩٣،ص٢٠٢.

أجساما وأنت تقول ،لصاحبك لم تفعل في حاجتي شيئا ، ولا تقول لم تفعل فيها جسما ،والجسم اسم عام يقع على الجرم والشخص والجسد وما بسبيل ذلك ،والشيء أعم لأنه يقع على الجسم وغير الجسم .(١)

أما من الناحية الفكرية الفلسفية فان الشيء يقال على تنوعات عديدة منها :

المادي والمعنوي.

المذكر والمؤنث .

الجوهر والعرض.

الاسم والصفة .

المفرد والجمع.

واجب وممكن الوجود.

العبد والرب أو الإله.

الموجود و المعدوم.

الممكن والمحال.

الحي والميت.

---

1 - أبو هلال العسكري ،الفروق اللغوية، ،مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ،قم،١٤١٢،ص٣٠٧.

أيضا ما يدور في الذهن وخارج الذهن من الأفكار والرغبات والنيات.فقد يقال مفهوم الشيء على ما هو اعم أي على كل معنى متصور في النفس سواء كان خارج النفس ام لم يكن .

أو قد يطلق الاسم لكل طبيعة أو ماهية(الماهية:خصائص الشيء التي تميزه من غيره) ، التي قد تكون مستقلة بوجودها أي جوهرا فتكون أحق باسم الموجود كانسان مثلا .

وقد يكون الشيء ماهية موجودة في موجود(عرضا)فيكون الأولى تسميتها شيئا كما هو حال الفكر والإرادة في الإنسان ،أو قد تكون فكرة أو ماهية الشيء ممتنعة الوجود كالعنقاء أو قضية كاذبة أو النسبة بين محمول وموضوع أو غير ذلك من التصورات الذهنية البحتة فتسمى شيئا لعدم وجودها بل امتناع ذلك الوجود فيقتصر الأمر على التصور فقط ([1]).

بهذا يصبح قولنا هذا الشيء اما موجود او معدوم وبهذا ينطلق عليه اسم الموجود فالشيء عبارة عن الوجود وهو اسم لجميع المكونات عرضا أو جوهرا(ثابتة أو متغيرة).

و الشيء في ذاته thing in itself فهو حقيقة يسلم العقل بوجودها مستقلة عن المحسوسات ،اما الشيئية فهي معنى الشيء،

---

1 - محمد حسين الاعلمي الحائري، المصدر السابق ، ص٢٠٢.

وهي غير الوجود في الأعيان فان المعنى له وجود في الأعيان ووجود في النفس وأمر مشترك فذلك الأمر المشترك هو الشيئية .([1])

والشيئية تكون بأقسام منها:

١- ما يجب وجوده وهو الله سبحانه .

٢- ما يمكن بروزه من العلم إلى العين وهو ما يتعلق بالممكنات

٣- ما لا يمكن تصوره وهو الأمر المتعلق بالممتنعات . ([2])

وذلك يعني ان مفهوم الشيء يأتي بصيغة المادة بأشكالها التي نعرفها أو يأتي بصيغة الأمر المعنوي كما هو الحال في المعنى المجرد او الغرض الذي تكنه النفس او بصيغة النية أو الفكرة أو الأمنية لذا يقال في نفسي شيء....الخ.

لهذا قال أبن سينا والغاية بما هي شيء تتقدم سائر العلل وهي علة العلل وبما هي موجودة في الأعيان قد تتأخر وإذا لم تكن العلة الفاعلية هي العلة الغائية كان الفاعل متأخرا في الشيئية عن الغاية وذلك لان سائر العلل إنما تصير عللا بالفعل لأجل الغاية وليست هي لأجل شيء آخر .([3])

---

1 - د.مراد وهبة، المعجم الفلسفي، ط٢، مصر، ١٩٧٩ص١٣٦

2 - محمد حسين الاعلمي الحائري، المصدر السابق ص٢٠٢

3 - ابن سينا، النجاة، ط مصر ، ص٣٥٤.

ومن نص معين في القرآن يمكن فهم ان الشيء هو الموجود او الممكن او المادة وذلك بقوله تعالى (**يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاء لم يجده شيئا**)(٣٩/النور) وسوف نتطرق الى هذه المسالة عند تناول مفهوم المعدوم ،و يمكن القول ان مفهوم الشيء:

١- هو كل ما له معنى او وجود حقيقي او غير حقيقي او معنوي

٢- يمكن ان يفهم او لا يفهم أحيانا او يمكن تصوره ولا يمكن تصوره.

٣- كل ما له ماهية(خصائص تميزه من غيره).

٤- الشيء هو الموجود جسما كان أم ليس جسما.

٥- الشيء كل ما هو ممكن.

٦- الشيء هو الحدث او الأمر تحقق ام لم يتحقق و من ذلك صور الأحلام او أحداثها .

ان مفردة الشيء تأتي في القرآن الكريم بمفاصل و بتنوع رائع يمكن التطرق إليه على النحو الآتي :

علاقة الله سبحانه بالأشياء:

ان تناول هذا المحور من البحث يأتي لتبيان العلاقة التي يمكن ان نفهمها للأشياء بالله وعلاقة الله سبحانه بالأشياء ،والغاية هي تبيان المحدودية والضعف وحاجة تلك الأشياء

وافتقارها،كما ان المسالة تفيد الحصر والإحاطة لفهم الأشياء جميعها ،ومن تلك المسائل :

أ- ليس كمثله شيء:

وترد هذه الصورة في القرآن الكريم وتعني ان الله سبحانه ليس مركبا وليس له جزء : وقد رد الإمام علي (عليه السلام) في هذا المجال بقوله (**كذب العادلون بك إذ شبهوك بأصنامهم ونحلوك حلية المخلوقين بأوهامهم وجزأوك تجزئة المجسمات بخواطرهم وقدروك على الخلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم**)[1] وأيضا من سلب التركيب والجزئية عن الخالق قول الإمام (عليه السلام) (**ان الله لا يوصف بشي من الأجزاء .....ولا بالغيرية والإبعاض**) [2].

قال الإمام علي (عليه السلام) منزها الخالق (**لا تضبطه العقول ،ولا تبلغه الأوهام ، ولا تدركه الأبصار**) ، وقد شرح الميرداماد هذه المسألة بتصنيفه الإدراك على ثلاثة أقسام ؛ لأنه عبارة عن حضور شيء عند المدارك ، وهو إما:

جسماني ، أو مفارق عن الأجسام . والمفارق إما مفارق بالكلية عنها ، أو متعلق بها مضاف إليها

فالأول : هو **المحسوس** ، وإدراكه بالحس ، وأقوى أقسامه وأجلاها هو البصر .

---

1 - الإمام علي ،نهج البلاغة، شرح محمد عبده ،دار المعرفة،٤ أجزاء،بيروت ، ١٦٤/١.

2 - الإمام علي ،نهج البلاغة، شرح محمد عبده ، ١٢٢/٢ ايضا ١٤٨/١.

والثاني : هو **المعقول** ، وإدراكه بالعقل .

والثالث : هو **الموهوم** ، وإدراكه بالوهم ، يريد نفي كونه مدركا لغيره بنحو من الأنحاء الثلاثة ([1]) .

ان ما لا يمكن حده وتشخيصه هو الله سبحانه الذي ليس كمثله شيء من الأشياء التي في أذهاننا التي تتمتع بالحد والنهاية ، وإذا كل ما نعرفه من الأشياء المتشكلة هو ليس الله ، وربما ترد مسألة تتعلق بالآية القرآنية بقوله تعالى(**قل أي شيء اكبر شهادة قل الله**)(الأنعام/١٩) وهي آية تدل على ان الله سبحانه شيء لكن ما سلف من قوله تعالى ليس كمثله شيء يبين انه سبحانه ليس له مثال حسي او مادي او حد ، وهو نهي وتحذير ونقد لخيال الكافرين الذي ينحو نحو التشكيل والتجسيم لله في ما تصنعه أيديهم من تماثيل او أولئك الذين يريدون تصور الله سبحانه،وقد بين الإمام علي بخطبه مسألة ذات الله وصفاته وأفعاله موظفا خطبا كثيرة أساسها ان الله لا يدرك كنهه وليس مثله شي ولا تدركه الأبصار أو الأوهام أو الفكر فصريح قول الإمام هو قوله(**فلسنا نعلم كنه عظمتك إلا إننا نعلم انك حي قيوم لا تاخذك سنة ولا نوم**)([2]) .

---

1 - ميرداماد محمد باقر الحسيني الأسترابادي ،الرواشح السماوية، ،مركز الطباعة والنشر في دار الحديث ، قم ط الأولى١٤٢٢- ١٣٨٠ش ، ص ٤٠ .

2- الإمام علي ،نهج البلاغة، شرح محمد عبده ، ٥٥/٢ .

والله عند الإمام علي ليس له مثيل بين الأشياء ولا يمكن لمقدرتنا الفكرية إدراكه كما تدرك الأشياء فهو في فكر الإمام ، لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس[1] وهو الرادع أناسي الأبصار عن ان تناله او تدركه [2]. وهذا نهي عن تقدير عظمة الخالق على قدر عقولنا، وليس الحل في معرفة كنه الله هو التشبيه فهذا ما ينفيه ويحاربه الإمام علي واصفا من شبه الله بتباين أعضاء خلقه بمن لم يعرف الله بل انه بذلك عدل به والعادل بالله كافر بما انزل الله من محكمات آياته[3].

ان المتتبع لنصوص النهج يجدها تشير إلى التحذير من تحديد الله بأي وسيلة كانت ومثال ذلك قوله(عليه السلام) ان بعد الهمم وغوص الفطن لا يمكنهما إدراك الله [4]. فالله (لا تناله الأوهام فتقدره ولا تتوهمه الفطن فتصوره) [5].

---

١ - الطبرسي(احمد ابن علي/ت٥٦٠هـ)،الاحتجاج،تحقيق السيد محمد باقر الخرسان،دار النعمان،النجف ،١٣٨٦ هـ- ١٩٦٦م ،٣٠٢/١ ،وانظر محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٢ /١١٥.

٢ - الإمام علي ،نهج البلاغة، شرح محمد عبده ،١٦١/١،وأناسي هو جمع إنسان وهو ما يرى وسط حدقة العين.

٣- الإمام علي ،نهج البلاغة، شرح محمد عبده ، ١،/١٦٤- ١٦٥،وأيضا ٢ /١١٩ لقوله -ع- ولا إياه عنى من شبهه .

٤ - الإمام علي ،نهج البلاغة، شرح محمد عبده ، ١٤/١ .

٥ - الإمام علي ،نهج البلاغة، شرح محمد عبده ، ١٢٢/٢ أيضا ١٨٤/١.

ونجد هنا ان النصوص تشير الى ان الأوهام والعقول لا تشير إلا الى الأشياء والله ليس كمثله شي ، وبإشارة الى تعجيز الذي يحاول وصف الخالق يقول (عليه السلام) (إذا كنت صادقا أيها المتكلف لوصف ربك فصف جبريل وميكائيل وجنود الملائكة المقربين في حجرات القدس ... فإنما يدرك بالصفات ذوو الهيئات والأدوات [1] فكيف يصف إلهه من يعجز عن وصف مخلوق مثله)[2].

ومن هنا من عدم معرفة كنه الله جاءت كلمة الإمام علي الجامعة في التوحيد (التوحيد ان لا تتوهمه والعدل ان لا تتهمه) أي لا تتوهمه جسما ولا صورة او عرضا او متمكنا بمكان .

ومن هذه النقطة يمكن التطرق الى علاقة الله سبحانه بالأشياء فهي تكون بشكل:

ب- القدرة على كل الأشياء:

فقد قال تعالى (ان الله على كل شيء قدير)(العنكبوت/٢٠)

التي تعني ان لا شيء لا يقدر الله عليه ،فالله قادر على العفو والعذاب وخلق الاشياء المختلفة وإبداع الموجودات بأحسن خلق .

ج- الإحاطة بالأشياء:

---

١ - الإمام علي ،نهج البلاغة، شرح محمد عبده ، ١٠٦/٢.

٢ - الإمام علي ،نهج البلاغة، شرح محمد عبده ، ٢٢١/١ أيضا ١٦٥/١.

قال سبحانه(**وكان الله بكل شيء محيطا**)(النساء/١٢٦) **هذا في** الوقت الذي لا يمكن للناس الإحاطة بعلم الله سبحانه فقد قال تعالى(**ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء**(البقرة/٢٥٥)والشيء جاء هنا بان الخلق لا يحيطون بجزء من علم الله وهي غير المحدودة او اللامتناهية،ومع هذا فان هناك من يعرف هذا الجزء بدلالة لفظة (إلا بما شاء)وهم بالتأكيد محمد وال محمد(صلى الله عليه واله وسلم)،والإحاطة كما تبدو الإلمام الكلي بعلم معين او الإحاطة بجزء صغير من العلوم الإلهية.

د- العلم بكل الأشياء:

قال سبحانه (**واتقو الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم**)(البقرة/٢٣١)وهذا مصداق لكون الأمور المعنوية او النوايا او التخيلات او الأمور النفسية تعد من الأشياء لأنها بالطبع مما يعلمه الله كما تطرقت الآية القرآنية . وفي سورة قرآنية أخرى قال تعالى (**ان الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء**) (ال عمران /٥)

و يقول أمير المؤمنين علي(عليه السلام) ان الله (علم السرائر وخبر الضمائر وله الإحاطة بكل شي)[1] سواء أكانت دواخل الإنسان ام الموجودات الخارجية وهو ما يطلق عليهما الإمام لفظة (كل

---

١ - الإمام علي ،نهج البلاغة، شرح محمد عبده ، ١٤٩/١ .

شي)وتحملان صفة الخشوع لله أولا وإنها قائمة بالله ثانيا ، فمن تكلم سمع نطقه ومن سكت علم سره ... لهذا ينادي الإمام ربه بان كل سر عندك علانية وكل غيب عندك شهادة [1].

والملاحظ ان علم الله ينصب على الموجودات(كل الأشياء) ، والتي تختلف وتتنوع كما يقول الإمام علي من أموات ماضين او أحياء باقين من حيث وجودها في السماوات وفي الأرضين وهو ما يعلمه الله بأجمعه [2].

والنصوص القرآنية تشير إلى معرفة الله بكل شي كما في قوله تعالى (عالم الغيب والشهادة/الأنعام- ٧٣/٦) وقوله تعالى (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض /سبا٣/٣٤).

إن الإمام عليا(عليه السلام) يطرح الأفكار التي يتناولها بشكل غير مبوب كالعادة (وكما القرآن الكريم) في الأفكار العالية الحكمة في الإلهيات التي تمثل نوعا من الحماية للإنسان كي لا يقع في شبهات لا تؤدي إلى فهم الله أو تؤدي إلى التجسيم أو الشرك أو الإخلال بالقدرة والعلم ومن ثم مس الذات الإلهية بالنقص .

ومن الشبهات التي طرحت فيما بعد والتي تخص علم الله سبحانه بالأشياء هي عدم إحاطة الله بالجزئيات ،أي ان بعض

---

١ - الإمام علي ،نهج البلاغة، شرح محمد عبده ، ٢١٠/١ .

٢ - نفسه ، ٦٧/٢ .

الأشياء الصغيرة لا يعلمها الخالق ، وهي شبهة جاءت مع تفتح أوراق المصطلح اليوناني عند المسلمين ،وقد افلت منها المعتزلة وبعض المذاهب وأيضا الفيلسوف الكندي ، الذي كان يفلسف الاعتزال دون ان يعتزل الفلسفة ، والذي قال بعلم الله بالجزئيات ، إلا ان الفلاسفة المسلمين كان لهم رأي آخر انطلق من التأثر باليونان وبالذات أرسطو فلعلهم قد أنكروا علم الله بالجزئيات في هذا الصدد ، ومهما يكن من أمر فان هذه الشهوة العلمية ظلت أسيرة كما قلنا في زمن المعتزلة والكندي ، بسبب النصوص الواضحة التي أوردتها خطابات القرآن ونهج البلاغة ، حتى أفلتت في زمن الفلاسفة ، فابتعدوا عن هذه النصوص مجتهدين في الفكر ، تاركين الصورة الواضحة التي رسمها الإمام القائلة (هو الذي لا يخفى عليه من عباده شخص لحظة ولا كرور (تكرار) لفظة ولا ازدلاف ربوة ولا انبساط خطوة في ليل داج ولا غسق ساج) [1].

ويصف الإمام عظمة علم الله بالجزئيات في واحدة من أروع الخطب بقوله (عليه السلام) (عالم السر من ضمائر المضمرين ومسارق إيماض الجفون وما ضمنته اكنان القلوب ، وما أصغت لاستراقه مصائخ الأسماع وهمس الأقدام ومنفسخ الثمرة من ولائج غلف الأكمام ... ومختبئا البعوض بين سوق الشجار ومحط المشاج من

---

١ - الإمام علي ،نهج البلاغة، شرح محمد عبده ، ١٥٨/١ .

مسارب الأصلاب ودرور قطر السحاب،واثر كل خطوة وحس كل حركة ورجع كل كلمة وتحريك كل شفة ومستقر كل نسمة ومثقال كل ذرة ...الخ) [1] وقد جعلت هذه الكلمات ابن أبي الحديد يقول، (لو ان أرسطو نفسه القائل بان الله لا يعلم الجزئيات ، سمع هذا الكلام لخشع قلبه)[2]. وهي إشارة إلى قول أرسطو ان المحرك الذي لا يتحرك يعلم ذاته فقط دون الكليات ولا الجزئيات[3]. والفكرة هذه قد سرت في الفلسفة الإسلامية متأثرة بأرسطو ، أما الفارابي وابن سينا فقد قالوا ان الله لا يعلم الأشياء الا علما كليا[4].

وكلام الإمام جاء واضحا بان الخالق يعلم الجزئيات والكليات(جميع الأشياء) وهو ما قاله المتكلمون فيما بعد ولعلنا نكتفي بقول الإمام (مع كل شي لا بمقارنة) ليدل على معرفة

---

١ - الإمام علي ،نهج البلاغة، شرح محمد عبده ، ١٧٩/١ .

٢ - ابن أبي الحديد(عز الدين أبو حامد/ ت٦٥٦هـ)،شرح نهج البلاغة،٢٠ مجلد ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،مصر،١٩٥٩هـ ، ٢٤/٧ أيضا راجع التستري(محمد تقي) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ،ط١٤، ١ مجلد ،طهران ،١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ٤٤٦/١.

٣ - حول المحرك الأول انظر ، أرسطو، الطبيعة، ترجمة حنين بن اسحق، جزآن، حققه وقدم له عبد الرحمن بدوي، القاهرة، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م، ٨٦٥/١.

٤ - حول علم الله بالكليات والجزئيات ورأي المدارس الأساسية في الفكر الفلسفي بهذه المسالة راجع الالوسي(حسام الدين)،دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي،ط١ ،بيروت، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م،ص٣٤- ٣٧

الله بالجزئيات والكليات كما يؤكد ابن أبي الحديد [1].أي ان الله مع كل شي حتى الصغيرة من دون مقارنة أو حلول ، ومما يروى حول علم الله بالجزئيات ، انه سأل الإمام راهب نصراني عن أشياء عديدة منها ما ليس لله وما ليس من عند الله وما لا يعلمه الله فأجاب الإمام (ما ليس لله ، ليس له صاحبة أو ولد وما ليس من عند الله فالظلم ، وما لا يعلمه الله فالله لا يعلم له شريكا في الملك)[2] ، فهذا هو الشيء الوحيد الذي لا يعلمه الله.

هـ- الربوبية لكل الأشياء:

قال عز من قائل(**قل أغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء**)(الأعراف/١٤٥).

و- خلق الأشياء:

قال سبحانه(**قل الله خالق كل شيء**)(الرعد/١٦)

إن قضية خلق الأشياء في القرآن الكريم تتلخص بقوله تعالى (**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**)(٨٢/يس). وهذا الخلق جاء من العدم فقد قال تعالى (**قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا**)(٩/مريم).

---

١ - ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ، ٧٩/١ .

٢ - الطبرسي،الاحتجاج ،٣٠٨/١ . أيضا السبزواري(محمد بن محمد /ق٧)جامع الأخبار ،تحقيق علاء الدين آل جعفر،ط١،قم،١٤١٣هـ- ١٩٩٣م،ص٣٦ .

يقول صاحب الرواشح السماوية شارحا مفهوم (اخترع الأشياء إنشاء ، وابتدعها ابتداء بقدرته وحكمته)([1]). بان " الاختراع " و"الابتداع " لفظان متقاربان في المعنى ، وهو إيجاد الشيء لاعن أصل ، ولا عن مثل . ومن أسمائه " البديع " ، وهو فعيل بمعنى المفعل ، كالأليم بمعنى المؤلم . والمراد أنه تعالى أوجد الأشياء بنفس قدرته لا عن مادة ، وبمحض حكمته ،لا لغرض : إذ لو أوجدها بوساطة أصل وعنصر ، لافتقر في فاعليته إلى سبب آخر منه ،الأصل ، فلم يكن مبتدعا ؛ لأن الغرض والعلة الغائية ما يجعل الفاعل فاعلا ، فالأول ،إشارة إلى نفي العلة المادية عن فعله ، والثاني إلى نفي العلة الغائية عنه .

ثم يضيف شارحا جملة : (لا من شيء فيبطل الاختراع ، ولا لعلة فلا يصح الابتداع)، فاعلم أن " الابتداع " في عرف العلوم اللسانية : إخراج الشيء من العدم إلى الوجود بديعا ، أي متخصصا ممتازا بنوع حكمة فيه .

" والاختراع " : رعاية تأنق وتعمل في إخراجه من العدم ، مأخوذ من " الخرع "بمعنى الشق ، والله - تعالى عزه - متعال عن التروي والاعتمال ،وجعل بعضهم " الإبداع " و " الاختراع "

٢٩- ميرداماد محمد باقر الحسيني الأسترآبادي ،الرواشح السماوية، ، ص ٣٥

الإخراج لا على مثال ، إلا أن " الاختراع "يناسب القدرة ، " والإبداع " يناسب الحكمة .

ز- الإحياء والإماتة لكل شيء:

قال سبحانه(**يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير**) (الحديد/٢)

وقال تعالى(**وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون**) (الأنبياء/٣٠)

ح- الملكوت لكل الأشياء:

قال سبحانه(**قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه**)(المؤمنون/٨٨)

ط- التقدير:

قال تعالى:(**وخلق كل شيء فقدره تقديرا**)(الفرقان/٢٥).

ي- الحفظ:

قال سبحانه(**وربك على كل شيء حفيظ**)(٢١/سبأ).

ك- الإتقان لكل الأشياء:

قال تعالى(**صنع الله الذي أتقن كل شيء**)(٨٨/النمل).

ل- الرقابة:

قال سبحانه(**وكان الله على كل شيء رقيبا**)(٥٢/الاحزاب).

م- الاقتدار: قال سبحانه (وكان الله على كل شيء مقتدرا)(٤٥/الكهف).

ن- الحساب:

قال تعالى(ان الله كان على كل شيء حسيبا)(٨٦/النساء).

س- والمقادير:

قال سبحانه(وكل شيء عنده بمقدار)(٨/الرعد).

ع- الإحصاء لكل الأشياء:

قال عز من قائل(وكل شيء أحصيناه في إمام مبين)(١٢/يس).وقال تعالى(وأحصى كل شيء عددا)(٢٨/الجن).

ف- الشهادة:

قال تعالى (إن الله كان على كل شي شهيدا)(٣٣/النساء).

ص- الإحاطة بكل الأشياء:

قال الله سبحانه **(وكان الله بكل شيء محيطا)**(١٢٦/النساء).

ق- وكالته سبحانه على كل الأشياء.

قال تعالى(**وهو على كل شيء وكيل**)(١٠٢/الأنعام).

نتائج حول النصوص السابقة

من ملاحظة النصوص القرآنية نفهم ان الله سبحانه هو المطلق أو الواجب الذي لديه القدرة على كل الأشياء أما هذه الأشياء كلها وعلى اختلافها واختلاف أنواعها فهي تتصف بكونها

ممكنة مخلوقة مفتقرة إلى ذلك المطلق في قضايا خلقها وإبداعها وإماتتها وإحيائها،وإتقانها،احتياجها ،تقدير أرزاقها ومصيرها ووجودها ،حفظها، وربوبيتها،كما ان لهذا المطلق القدرة على الأشياء في مجالات إحصائها وحسابها جميعها ومراقبتها والإحاطة بها والعلم بها ومحاسبتها ،وهذا المطلق لا يشبه شيء من الأشياء اذ ليس كمثله شيء.

الحدث أو الفعل

يتبين الحدث أو الفعل في قوله تعالى على لسان زوجة إبراهيم (عليه السلام) **(ألد وانا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب)**(هود/٧٢) وهنا توقعت زوجة النبي إبراهيم(عليه السلام) ان الأمر معدوم لا يمكن حدوثه ، ليس بسبب عدم إيمانها بقدرة الله بل بسبب عدم حدوثه في المجتمع والطبيعة الحياتية التي عرفها الناس ويعرفونها اليوم والتي تؤكد ان العجوز لا تلد ،فاعتراضها جاء مشفوعا بمسألتين مهمتين وهو انها وصلت إلى مرحلة عدم الولادة وزوجها وصل إلى الشيخوخة التي تجعله لا يمكنه إنجاب الأطفال ،وهنا يقفز سؤال هل إعطاء النبي إبراهيم(عليه السلام)الطفل على كبره يعد خصيصة له من دون الناس او يمكن السؤال لم لا يعطي الله سبحانه الأطفال لغير إبراهيم أيضا من الشيوخ او غيرهم ،وما من شك ان الله العادل دائما أعطى هذه النعمة على

قدر منزلة وعمل الخليل وأيضا على وفق الأسباب الطبيعية لإنجاب المرأة وقدرتها وكل ذلك كرامة لأهل هذا البيت العاملين لله والداعين بأصدق الدعوات .

واللافت للنظر ان المولود جاء سليما من كل النواحي الفكرية والأخلاقية والدينية أي انه لم يتأثر ببنيته وصفاته وصحته بكبر أبويه وهو نبي أيضا وذلك يعني ان للزوجين القدرة على الإنجاب .

إذن فالحدث الذي سمته تلك المرأة بالشيء هنا لا ينتمي إلى عالم المستحيل أو المعدوم بل إلى عالم الممكن .

أو قوله تعالى بالنسبة إلى الفعل: (**ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً**)(الكهف/٢٣)، ودلالة الآيتين واضحة للتعبير عن الحدث أو الفعل وهو مشابه للأمر الإعجازي الكامن في اعتراضية(أمر، فعل، حدث) أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا هو عبارة عن دلالة الفعل الذي وقع أو سيقع.

الشيء بمعنى المعدود المحدود أو المفرد

وهي مادة متنوعة في القرآن لها إشارة واضحة متعلقة بالإعجاز والقدرة كما في المفردات القرآنية (**خالق كل شيء، يعلم كل شيء، وسع كل شيء**) ولما كان الله سبحانه هو المطلق غير المحدود فإن ما سواه من الموجودات التي له الإحاطة بها من المخلوقات والأشياء إنما هي محدودة و معدودة كما يوضح الإمام

علي (عليه السلام) في إحدى حواراته الفكرية في واحدة من خطبه بقوله: (ومن حده فقد عده) وهذا يعني ان الله ليس له حد والا كان معدودا وتعبير القرآن (**ليس كمثله شيء**)(الشورى/١١)، وكما أسلفنا ان كل ما عرفناه في أذهاننا وما لم نعرفه بعد هو ليس الله ، إذن هنا يتبين ان من صفات الأشياء ان تكون معدودة ومحدودة ، وقد تطرقنا إلى ان الأشياء لها حد وجسم وهيئة وتشكيل.

الشيء بالمعنى المعنوي

وتتضح هذه المسألة على سبيل المثال بقوله تعالى(**ان تبدوا شيئا او تخفوه فان الله بكل شيء عليما**)(٥٤/الاحزاب) او بقوله تعالى (**ولا يحيطون بشيء من علمه**)(البقرة:/٢٥٥). فلا يجب فهم ان علوم الله سبحانه متناهية بدلالة لفظ (**بشيء من علمه**).

أي ان هذه القضية تخص الأشياء غير المادية كما هو حال النيات او الأمنيات والتصورات ،وهي من الأهمية بمكان لأنها تدخل في صلب سلوك الإنسان المسلم كما هو المعروف في مباحث الفقه والعقائد فالنية مهمة مع إنها ربما تتحقق او العكس من ذلك ،مع هذا فهي من دون شك عبارة عن شيء في النفس يعلمه الله سبحانه.

الكمية

قال تعالى: (**وكل شيء عنده بمقدار**)(الرعد/٨)، وقال سبحانه: (**واثل وشيء من سدر قليل**)(سبا/١٦) وتدلل هذه الآية على محدودية الكمية بدلالة لفظة القليل وفي نمط آخر تجد ان مفردة الشيء قد تستخدم في الكثرة اي الكمية الكبيرة كما في قوله تعالى:(**وان من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم**)(الإسراء/٤٤) وهذه الآية من العجائب التي لم يبحث فيها العلم ولم يعطها قدرها لان اللغة من المسائل الحضارية المهمة لدى الناس ومن الغرائز ، فكيف اذا تعلق الأمر بالجماد والنبات والحيوان تلك الأجناس التي لا نفقه تسبيحها او لغتها ولا جدال في ان هذه الآية لا تدل على الإطلاق والمطلقية بل المحدودية لان اللامتناهي واللامحدود هو الله سبحانه وبقياس الله مع الأشياء (مع كثرتها) سيعني ان الله هو اللامحدود وان هذه الأشياء (التي تسبح بحمد الله) من كميات او محدود هي محدودة متناهية لها حد ونهاية وعدد وأحجام، اما قوله تعالى: (**وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها**)(إبراهيم/٣٤) فيعني العجز عن تعداد العطايا الإلهية المتناهية.

وسائل الراحة الدنيوية

قال تعالى: (**وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها**)(القصص/٦٠)، وتبدو هذه الآية من وجهة النظر الفكرية

وكأنها تشير إلى ان كل شيء في الدنيا (المادي) أو (المعنوي) هو عبارة عن زينة وترف في الدنيا وإذا كنا قد ذكرنا ان الشيء يأتي بصورة الحدث او الفعل او العدد والكمية أو من المعنوي من جهة أخرى، فيبدو ان القضية التزينية هنا هي خليط من المادي والمعنوي كما هو حال الممتلكات أو الأشياء المعنوية كالألقاب وغيرها.

الشيء وسيلة للمنهج والمعرفة والعلم

قال تعالى بشأن ذي القرنين: (**إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا،فاتبع سببا**)(٨٤- ٨٥/الكهف. وربما يأتي مفهوم الشيء بنحو العقيدة،الحق ،الهوية او الوهم (**وقالت اليهود ليست النصارى على شيء**)البقرة/١١٣. (**وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب**) (البقرة/١١٣.)

الشيء بمعنى المعدوم

تطرقت المعتزلة الىٰ مفهوم المعدوم ،فهم يرون ان المعدوم حتى عندما يكون غير موجود فهو شيء وهناك من يستخدم كلمة شيء اما لتدل على الموجود وغير الموجود والطرف الآخر يستخدمها دلالة للوجود فقط ، فهو ينكر ان يكون المعدوم شيئا

اما في القرآن فان القول بان الله خالق كل شيء يعني خالق المعدوم أيضا ،وإلا ماذا سنسمي المعدوم اذا لم يكن شيئا ، فنحن نشير إلى أمر أو نلفظ لفظة معينة تسمى معدوما فما

المعدوم ؟ انه بالتأكيد أمر أو شيء سواء أكان ماديا ام لم يكن ،موجودا ام لم يوجد ،حتى وان كان في الذهن .

ومن المناسب العروج على النص القرآني فقد قال تعالى **(يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا)**(٣٩/النور) وفي هذا النص الشريف تبرز جملة من الملاحظات منها:

١- الماء شيء من الأشياء.

٢- المسألة هنا خاضعة للتصور والتخيل والظن ومن قاد إلى التصور هو حالة نفسية هي الظمأ

٣- لكن المتخيل جاء إلى وفق النص القرآني إلى هذا الشيء المتخيل ومفردة جاءه تعني أن هناك شيئا أراده ،ويبدو ان الظمآن جاء ليبحث عن تصوره والدليل انه لم يجد شيئا .

إذن هل يمكن اعتبار التصور الخاطئ شيء من الأشياء سيما إننا قلنا بان ما يمكن ان يطلق عليه مفهوم الشيء هو الأمنيات والأحداث والنيات .

بالنهاية تفهم المسالة على ان الظمآن لم يجد الشيء الذي يريده أو انه بشكل آخر جاء إلى ما ظنه شيئا لكنه لم يكن كذلك أي ان الظمآن لديه صورة في داخله لأمر أو فكرة أو مسالة تخيلها وكانت النتيجة ان لاشيء مما في ذهنه موجود

،فهل وجد العدم ،ربما يمكن القول انه وجد عدم صحة فكرته أو تصوره الذي بناه في مخيلته .

ومن مسائل الأشياء التي تؤول إلى العدم قوله تعالى (**لا اله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه**)(٨٨/القصص) وهي تعني صفة الهلاك او العدم لكل الأشياء فهي تطال جميع الأشياء إلا وجه البارئ سبحانه).

ولك أن تتخيل هذه الأشياء وأنواعها التي سلف الحديث عنها من المادي والمعنوي ،نعم ربما يعيدها الله مرة أخرى ولكن الآية صريحة بان الأشياء إلى زوال في يوم من الأيام .

الشيء والمعرفة : (محاولة لفهم نظرية المعرفة القرآنية)

لعل الكثير من الباحثين يفسر قوله تعالى(**والله اخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا**)(٧٨/النحل). إن العقل في هذه الآية يبدو كالصفحة البيضاء ،وهي مسالة تحتاج إلى وقفة لأننا من خلال قراءة نص قراني آخر وهو قوله تعالى(**ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا**)(٥/الحج) أو قوله تعالى(**ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئا**)(٧٠/النحل) نفهم ان الآيات تقول ان البعض منكم يرد إلى أرذل العمر فلا يعلم بعد أن كان يعلم شيئا ،وذلك يدل على

مسالة عرضية بدلالة لفظة البعضية (ومنكم)ولعل هذه المسالة تأتي للبعض لإصابتهم بمرض معين ،أما كلمة (شيئا) فقد جاءت لتحمل صفة الكم فلا يعلم الذي دخل أرذل العمر شيئا بعد ان كان يعرف الكثير من العلوم

ولعل القضية برمتها تشير إلى الذاكرة وبمقارنتها مع النص القرآني الأول(والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا) والنص القائل (**اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون**)(١٧٠/البقرة) التي تعني ان الأشياء أو الأفكار تعقل أو تعني انهم لا يملكون المعرفة يتبين :

١. ان كلا من الطفل والداخل في أرذل العمر لا يعلم شيئا.
٢. التعقل صفة تتجه نحو الأشياء إذن فالأشياء مادة التعقل.
٣. (لا تعلمون شيئا)تعني لا تدركون الموجودات من الأشياء المفردة والكثيرة والمادية والمعنوية والأعراض والمعلومات والأفكار.
٤. إذن ليس العقل صفحة بيضاء تماما كما كان الفيلسوف جون لوك يقول فالله أخرجهم من بطون أمهاتهم وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة لأنكم سوف تتطورون في الوعي والفهم بعد ان جعل الله لكم السمع والأبصار والأفئدة .

وفي القرآن وجدنا طفلا كالمسيح عليه السلام يتكلم في المهد قال تعالى(**ويكلم الناس في المهد**)(٤٦/آل عمران) ولا يدل تكلمه على ان عقله صفحة بيضاء لان اللغة تحتاج إلى ملكة العقل بشكل كبير من خلال التحليل والتركيب والاستنتاج والبرهان والاستدلال .

إذن فالله جعل لهم السمع والإبصار والأفئدة ليتمكنوا بهذا المعنى من معرفة العالم والأشياء لأنهم لا يملكون الوسائل المساعدة ،فهم لا يعلمون،وربما لا يعقل البعض منهم لان الذين على نمط المسيح (عليه السلام)يعقلون الأشياء مع إنهم صغار،لكن بقية الذين يخرجون من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئا ،ولاحظ اللفظة (لا يعلمون) التي جاءت في سياق الذين خرجوا من بطون أمهاتهم دون ان تأتي لفظة(لا يعقلون).

٥- ومما يؤكد ان الإنسان يملك المعارف قبل ولادته وان العقل ليس صفحة بيضاء او سوداء تماما ان الله اشهد الخلق في عالم الذر وقد قال لهم الست بربكم وقالوا بلى كما تشير سورة الأعراف الآية ١٧١،كما ان الإنسان يملك الكثير من الغرائز التي يأتي مزود بها من قبل مثل الأنانية والأمومة وغريزة معرفة الخير او الشر او الحسن والقبح العقلي ،والنص القرآني واضح من ان الله سبحانه الهم النفس الفجور او التقوى .

من كل ذلك يمكن القول ان الإنسان يأتي إلى الدنيا مزود ببعض المعارف العامة الأساسية ويحتاج إلى ان يتعلم في هذه الدنيا العلوم المختلفة والله سبحانه يخرجه وهو غير متعلم او لا يعلم شيئا وبنعمة الإبصار والاستماع والوعي يكبر مستخدما الملكات المختلفة ليتعلم الأشياء التي يعرفها بالتأكيد فقد قال تعالى(وعلم ادم الأسماء كلها)وهو ما يؤكد ان أبانا (غير المولود يعرف مجمل الأشياء)وهو يورث هذه المعرفة لغيره ولولده بالتأكيد .وفي تحليل واف لهذه المسالة يقول الشهيد الأول في كتاب فلسفتنا :

(ان الفكر لو كان محبوسا في حدود التجربة ولم يكن يملك معارف مستقلة عنها لما أتيح له أن يحكم باستحالة شيء من الأشياء مطلقا ، لأن الاستحالة - بمعنى عدم إمكان وجود الشيء - ليس مما يدخل في نطاق التجربة ولا يمكن للتجربة ان تكشف عنه ، وقصارى ما يتاح للتجربة أن تدلل عليه هو عدم وجود أشياء معينة ، ولكن عدم وجود شيء لا يعني استحالته ، فهناك عدة أشياء لم تكشف التجربة عن وجودها بل دلت على عدمها في نطاقها الخاص ، ومع ذلك فنحن لا نعتبرها مستحيلة ولا نسلب عنها إمكان الوجود كما نسلبه عن الأشياء المستحيلة ، فكم يبدو الفرق جليا بين اصطدام القمر بالأرض أو وجود بشر في المريخ أو وجود إنسان يتمكن من الطيران لمرونة خاصة في عضلاته من ناحية ، وبين وجود مثلث له أربعة أضلاع ووجود جزء

أكبر من الكل ووجود القمر حال انعدامه من ناحية أخرى . فان هذه القضايا جميعا لم تتحقق ولم تقم عليها تجربة . فلو كانت التجربة هي المصدر الرئيسي الوحيد للمعارف لما صح لنا أن نفرق بين الطائفتين لأن كلمة التجربة فيهما معا على حد سواء وهذا الحكم بالاستحالة لا يمكن تفسيره الا على ضوء المذهب العقلي بأن يكون من المعارف العقلية المستقلة عن التجربة).(٣٠)

٣٠- السيد محمد باقر الصدر،فلسفتنا،ط٣ دار الكتاب الإسلامي ،٢٠٠٤ م، ،ص،٦٩- ٧٠

ملاحظات حول مفهوم الأشياء في القرآن:

١- الأشياء بمجملها في القرآن تتألف من نظام زوجي عند الخلق الأول فقد قال تعالى (**ومن كل شيء خلقنا زوجين**)(٤٩/الذاريات). وهو قياس للأشياء بمجملها من انها تتألف من نظام الزوجية وقطعا يقودنا السؤال لماذا هذه الزوجية هل هي لأجل التكاثر أو القدرة والإبداع أو لأمر يعلمه الله ،وهل من الممكن القول ان الجبال والأرض والسموات والأشجار والكواكب بالإضافة الى الحيوان والإنسان خلق بثنائية زوجية ولماذا ،وهي من دون شك أسئلة تحتاج الى أجوبة سريعة.

٢- للأشياء أيضا بمجملها خاصية النطق أو الاستنطاق وهو ما يتبين بقوله تعالى على لسان بعض الأشياء(**أنطقنا الله الذي انطق كل شيء**)(٢١/فصلت) وهذا يقودنا إلى فهم ان النبات _والجماد بالإضافة إلى الإنسان كل أولئك يملكون قابلية النطق كما نفهم أيضا ان البعض من هذه الأجزاء يمكنها النطق كما القرآن الكريم في قضية شهادة الأيدي والأرجل وتكلمها .

ولكن هناك جملة من الأسئلة وهي :الا يحتاج النطق إلى تعقل ؟ وإذا كان هذا صحيحا فهل يمكن للأطراف او

حتى الحيوان والنبات ان يوصف بأنه متعقل.ولهذه الأسئلة إجابات أخرى ان شاء الله .

٣- في قوله تعالى (**وجعلنا من الماء كل شيء حي**)(٣٠/الأنبياء) يقفز السؤال الآتي مع ضرورة التفرقة بين مفهومي الجعل والخلق ،ألا تدلنا الآية الشريفة إلى تصور عام مفاده ان كل الأشياء الحية إنما هي مجعولة من الماء والنفس والروح والملائكة وكثير من الميتافيزيقيات من الأشياء الحية فهل جعلت من الماء!! .

٤- يمكن وصف الزمان والمكان بالشيء ،لأنهما ان كانا مخلوقين فان الله خالق كل شيء ومن ذلك الزمان والمكان وان لم يكونا مخلوقين وعدا من الوجود الاعتباري فانهما ملاصقان للأشياء بالتأكيد ،ومن الأحاديث الكثيرة يتضح ان الله تعالى موجد الزمان ،فهو سبحانه من أين الاين وكيف الكيف كما يقول الإمام علي(عليه السلام).

ملخص الفصل الأول

تبين في تناولنا لمفهوم الشيء في القرآن انها كانت بداية لاكتشاف البنية الفكرية للقران من زاوية الفلسفة والفكر ،وقد كان تعريف الشيء في القرآن الكريم خليطاً من مفهوم المادي والمعنوي وشمل كل الموجودات الممكنة والذهنية والمعنوية والعددية وأيضا الأقوال والأفعال وغيرها.

إننا بتناول علاقة الله بالأشياء على وفق النص القرآني نعرف ان هذه العلاقة هي علاقة الرب بالمربوب او الخالق بالمخلوق وانه سبحانه هو خالقها ومدبرها وحافظها ومراقبها وحاشرها ومحاسبها .

يضاف إلى ما تقدم ان هناك أراء كبيرة يطرحها القرآن الكريم تتمثل بعلاقة الأشياء بالمعرفة وما يتبع ذلك من الأفكار الفطرية أو مفهوم الأفكار الفطرية والتجريبية أو علاقة الشيء بالمعدوم .

كما ان هناك محاولة لفهم نظرية المعرفة في القرآن ،ولا اقصد المنهج بقدر ما حاولت معرفة فطرية الأفكار او معرفة هل ان العقل صفحة بيضاء .

وبشكل عام فان الشيء مفصل مهم في البناء القرآني لان القرآن يتناول اغلب الأشياء المتعلقة بخلق الله سبحانه ، لهذا

فالشيء يدخل في كل المجالات التي تخص الإنسان وأعماله والحيوان والنبات والجماد ،ويدخل في مفاهيم الأفكار والأحداث وغيرها.

مصادر الفصل الأول

١- يحيى هويدي ،دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية،دار النهضة،القاهرة،١٩٧٢م .

٢- محمد حسين الاعلمي الحائري،دائرة المعارف الشيعية العامة ج١١،مؤسسة الاعلمي، بيروت،١٩٩٣.

٣- أبو هلال العسكري ،الفروق اللغوية، ،مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ،قم،١٤١٢.

٤- د.مراد وهبة،المعجم الفلسفي، ط٣،مصر،١٩٧٩.

٥- ابن سينا، النجاة ،ط مصر .

٦- الإمام علي ،نهج البلاغة ،شرح محمد عبده ،دار المعرفة،٤ أجزاء،بيروت .

٧- ميرداماد محمد باقر الحسيني الأسترآبادي ،الرواشح السماوية، ،مركز الطباعة والنشر في دار الحديث ، قم - ط الأولى ،١٤٢٢- ١٣٨٠ش .

٨ - الطبرسي(احمد ابن علي/ت٥٦٠هـ)،الاحتجاج،تحقيق السيد محمد باقر الخرسان،دار النعمان ،النجف ،١٣٨٦ هـ- ١٩٦٦م .

٩ - ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد(عز الدين أبو حامد / ت٦٥٦هـ)،شرح نهج البلاغة، ٢٠ مجلد،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،مصر،١٩٥٩هـ .

١٠- التستري(محمد تقي) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ،ط١٤، ١ مجلد ،طهران ،١٤١٨هـ- ١٩٩٧م،

١١- أرسطو،الطبيعة،ترجمة حنين بن اسحق،جزآن، حققه وقدم له عبد الرحمن بدوي ،القاهرة ،١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م .

١٢- الالوسي(حسام الدين)،دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي،ط١،بيروت،١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

١٣- السبزواري(محمد بن محمد /ق٧)جامع الأخبار ،تحقيق علاء الدين آل جعفر ،ط١،قم ،١٤١٣هـ- ١٩٩٢م .

١٤- السيد محمد باقر الصدر،فلسفتنا،ط٣ دار الكتاب الإسلامي ،٢٠٠٤ م.

الفصل الثاني
الفكر المستقبلي في القرآن الكريم

في معجمات اللغة نجد جملة من التفسيرات المتعلقة بمفهوم المستقبل فما تعلق بمحور اللغة ، يقال (اقبل اليوم ، صار آتيا غير بعيد ،ونقيضه أدبر عنه ،واستقبل يعني اقبل نحوه ،والاستقبال و المستقبل و المستقبل جاءت من الزمان الآتي بعد الحال ([1]) . وذلك يعني ان اللفظة تتعلق بما هو قادم بالقياس إلى زمني الماضي والحاضر (الحال)

أما الصورة الأخرى لمفهوم المستقبل فان (علم المستقبليات أو "الدراسات المستقبلية" هو علم يختص بـ "المحتمل" و "الممكن" و "المفضل" من المستقبل، بجانب الأشياء ذات الإحتماليات القليلة لكن ذات التأثيرات الكبيرة التي يمكن أن تصاحب حدوثها)([2]).

وبالإضافة إلى الفكر والسياسة ،فان علم المستقبليات في أطروحاته يقدم الدراسات المستقبلية لكل فرع من فروع الاقتصاد والتجارة والزراعة والمياه والبيئة وغيرها، وتحويل كل فرع إلى إستراتيجية يتم إذابتها في إستراتيجية واحدة لخدمة مجال محدد([3]).

1- لويس معلوف ،المنجد في اللغة،طبعة ذوي القربى ،١٤٢٩هـ ،ص٦٠٦- ٢٠٧.

2 - موقع موسوعة الوكيبيديا http://ar.wikipedia.org/wiki

3 - د.عبدالعزيز بن جارالله ، عرب بلا مستقبليات ،مجلة المعرفة السعودية،ع٢٠١٠، ١٧٥.

ويمكن تعريف الدراسات المستقبلية بجملة من التعريفات أهمها :

١. "العلم الذي يرصد التغير في ظاهرة معينة ويسعى لتحديد الاحتمالات المختلفة لتطورها في المستقبل، وتوصيف ما يساعد على ترجيح احتمال على غيره"(١).

٢. بأنها «مجموعة من البحوث والدراسات التي تهدف إلى الكشف عن المشكلات ذات الطبيعة المستقبلية، والعمل على إيجاد حلول عملية لها، كما تهدف إلى تحديد اتجاهات الأحداث وتحليل المتغيرات المتعددة للموقف المستقبلي، والتي يمكن أن يكون لها تأثير على مسار الأحداث في المستقبل (٢).

٣. تعرف الدراسات المستقبلية بأنها « التنبؤ المشروط من منظور احتمالي وعلمي نسبي»(٣).

٤. «تخصص علمي يهتم بصقل البيانات وتحسين العمليات التي على أساسها تتخذ القرارات والسياسات في مختلف

---

1 - Edward Cornish-The Study of the Future,World Future Society, Washington.1977,pp.83-92

2 - فلية، فاروق عبده والزكي، أحمد عبد الفتاح، الدراسات المستقبلية(منظور تربوي)، دار المسيرة ، عمان ، ٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٦٧

3 - ضياء الدين زاهر ، مقدمة في الدراسات المستقبلية: مفاهيم- أساليب- تطبيقات، القاهرة، مركز الكتاب للنشر، ٢٠٠٤م، ص ٥١

مجالات السلوك الإنساني، مثل الأعمال التجارية والحكومية والتعليمية، والغرض من هذا التخصص مساعدة متخذي القرارات أن يختاروا بحكمة من بين المناهج البديلة المتاحة للفعل في زمن معين»([1]).

٥. هي محاولة علمية تتكامل فيها الدراسات لمعرفة جوانب صورة الحاضر وتحليلها والتعرف على مجرى الحركة التاريخية من خلال دراسة الماضي و ملاحظة سنن الكون، والانطلاق من ذلك كله إلى استشراف المستقبل وتشوفه وصولاً إلى طرح رؤية له([2]).

٦. ان علم المستقبل هو العلم الذي يتناول الأحداث التي لم تحدث بعد وذلك خلال فترات زمنية لم تحل بعد ، وعندما تحل سوف تصبح حاضرا ، ولذلك يختلف علم المستقبل عن المستقبل لان المستقبل لا يوجد إلا في الذهن والخيال والخطط التي نرسمها له ، وهي أمور غير مؤكدة ([3]) .

---

1 - ضياء الدين زاهر ، مقدمة في الدراسات المستقبلية ،ص٥١ .

2 - د. أحمد صدقي الدجاني، "الدراسة التاريخية و المستقبلية في التراث العربي الإسلامي" ، محاضرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٠.

3 - د. قاسم محمد النعيمي ، المستقبل والاقتصاد في الدراسات المستقبلية ، مجلة كلية التجارة والاقتصاد ، جامعة صنعاء ،ع ١٥- ١٦ .

٧. ويمكن تعريف الدراسات المستقبلية بأنها منظومة الأفكار والنظريات التي توجه نحو القادم من الزمان منطلقة من الحاضر على وفق آليات ومناهج علمية مدروسة تستند على العلوم الإنسانية كافة وتأخذ بنظر الاعتبار فلسفة التاريخ والمتغيرات الآنية .

استنتاج

يمكننا من جملة التعريفات استنتاج الآتي .

١. ان الدراسات المستقبلية تحمل صفة العلم لخضوعها للمنهج العلمي ولاستخدامها للأدوات العلمية والمناهج المهمة كما في التحليل والاحتمال والمنطق والالتزام بالموضوعية .
٢. ان هذه العلوم تتعامل مع المسائل النسبية او انها تحاول تحويل الأمور النسبية إلى مسائل شبه يقينية .
٣. انها تتعامل مع الاحتمال المدروس لا الاحتمال العشوائي وتتعامل مع الافتراضات المرتبطة بأرضية واقعية .
٤. لا تتخلى العلوم المستقبلية عن مفردتين مهمتين هما الواقع والماضي لدورهما في مجال البحث المستقبلي .
٥. في الدراسات المستقبلية صفة الاحترازية ،ولا تعتمد مفاهيم الانتقائية الا من خلال تنوع الخيارات المطروحة

،على ان تكون هذه الخيارات مرتبطة بالواقع او بالافتراضات المقبلة المستندة الى الواقع .

٦. ومن دون شك فان علم الدراسات المستقبلية يحاول تقنين وتحديد المستقبل بوساطة الحاضر من خلال البيانات الدقيقة والكشوفات واستقراء الاحتمالات على وفق آلية منطقية ورياضة معقدة ويهتم ببناء الأسس الفكرية المستندة بشكل لا جدال فيه الى المعطيات العلمية لتمكنه من استحكام والتثبت من معلوماته التي تخص الظاهرة المراد استبانتها أو استشرافها او سبر أغوارها يشير القرآن الكريم إلى استحالة معرفة الغيب بعدد من الآيات المهمة ، كما في قوله تعالى (**وما كان الله ليطلعكم على الغيب**) آل عمران ١٧٩ وقوله تعالى (**وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو**) (الأنعام ٥٩) وقوله سبحانه (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا)(الجن ٢٦) ،(**وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي ارض تموت**)(لقمان - ٣٤)، وغيرها من الآيات ،

وينبغي التوقف هنا لتوضيح مفهوم علم الله المرتبط بالغيب ،وهو بقسمين كما يرد عن الإمام علي والإمام الصادق(عليهما السلام) ، الأول هو (علم الله الذي لم يطلع عليه احد من خلقه لا يعلمه الا هو وعلم علم الله ملائكته

ورسله ونحن نعلمه) ([1]). وهذا يعني أن الأنبياء والأئمة يعرفون كثيرا من أسرار المستقبل التي أطلعهم الخالق عليها ،وشهدت بتأكيدها الآيات القرآنية .

بل ان حتمية المعرفة المستقبلية توجد في الخطاب القرآني لأدم (عليه السلام) الذي علم الأسماء كلها ([2]) ،ومفردة (الأسماء كلها)تحمل تصورا نهائيا بمعرفة ادم للمسميات القادمة على مر الأزمان .

وقد زخر القرآن الكريم بآيات كثيرة تحمل معاني معرفة المستقبل وقد جاءت بلفظ(الغيب)التي لا تتعارض مع قوله تعالى **(ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء** (١٨٨/الأعراف) لان الأنبياء والصالحين تعلموا الغيب من الله وهو ما يخص تلك المزية التي ذكرها أمير المؤمنين علي(عليه السلام) كما سبق، وقد قال تعالى **(ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك** (٤٤/ال عمران).

وقال تعالى على لسان يوسف الصديق (عليه السلام)(**لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله)** (٣٧/يوسف) و **(وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون)** (١٥/يوسف)

---

1 - انظر الكليني ،أصول الكافي ،تحقيق علي اكبر غفاري ،ط٢ ،٨مجلدات ،طهران ،١٣٨٨هـ ،ص١٤٧/١ أيضا الصدوق ،عيون أخبار الرضا،تحقيق حسين الاعلمي ،ط١ ،٢مجلد ،بيروت،١٤٠٤هـ،١٦١/٢

2 - قال تعالى وعلم ادم الأسماء كلها (٣١ / البقرة)

وعلى لسان الخضر(عليه السلام) (**سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا**)(٧٨/الكهف) وقال سبحانه (**يسألونك عن الساعة ايان مرساها**) (١٨٧/ الأعراف)

أن المستقبلية من منظور إسلامي علمي هي تلك التي تُعنّى بدراسة بدائل المستقبل لحل المشاكل التي تتخبط فيها الجموع الإسلامية، وشن حرب ضروس على الجهل الذي ينخر جسمها، ومقاومة الفوضى السائدة ببعض صفوفها. وهي بذلك لا تتشغل بصور زهوق الباطل، ولكن تنظر للمستقبل على أساس أنه مجال حرية وإرادة وقرار لتحقيق دمغ الحق للباطل فإذا هو زاهق (١).

سنتناول بعض المفاصل الحيوية في القرآن الكريم التي تعطي فهما أوليا عن المستقبل فيه :

أولا:علاقة القضاء الإلهي بالمستقبل

ان القضاء على ثلاثة أقسام الأول ، قضاء الله الذي لم يطلع عليه أحد من خلقه والعلم المخزون الذي استئثاره لنفسه ، وقد روي عن الإمام علي والصادق عليهما السلام ان لله علمين : علما مخزونا مكنونا لا يعلمه إلا هو ومن ذلك يكون (البدا) وعلم علمه الله ملائكته ورسله ونحن نعلمه(٢).

---

١ - د.محمد بريش ،مستقبل مجال الفعل ،موقع الالوكة و موقع الدكتور محمد بريش http://www.alukah.net/Web/brich/0/1272

٢ - الكليني ،الكافي، ١٤٧/١ ،أيضا الشيخ الصدوق ،عيون أخبار الرضا ،تحقيق حسين الاعلمي ،ط٢، ١مجلد،بيروت ،١٤٠٤هـ ١٦١/٢، ====

والثاني ، قضاء الله الذي اخبر نبيه وملائكته بأنه سيقع حتما ويرد عن الإمام علي(عليه السلام) قوله (العلم علمان فعلم علمه الله وملائكته ورسله فما علمه ملائكته ورسله فانه يكون ولا يكذب نفسه ولا ملائكته ولا رسله وعلم مخزون لم يطلع عليه أحد من خلقه يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء ويمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء) [1].

الثالث، قضاء الله لذي اخبر نبيه وملائكته بوقوعه في الخارج ، إلا انه موقوف على ان لا تتعلق مشيئة الله بخلافه وهو القسم الذي يقع فيه (البداء) وفيه يقول الإمام (عليه السلام) (لولا آية في كتاب الله لا خبرتكم بما كان وبما يكون وبما هو كائن إلى يوم القيامة وهي هذه الآية (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) (الرعد- ٣٩/١٣)[2]. وإشارة الآية واضحة إلى ان الله هو الأعلم بالأشياء ولكنه لا يطلع الناس عليها لأنها معرضة للمحو ، بسبب تأثيرات أخرى تتوافق والرحمة الإلهية ، فالأحاديث النبوية تشير إلى تغيير بالقضاء(الحوادث المستقبلية) بناء على بعض أفعال الإنسان الحسنة ومنه قول النبي(ﷺ) (لا يزيد في العمر إلا البر،

====المجلسي(محمد باقر/ت١١١١هـ)،بحار الأنوار ، مؤسسة الوفاء، ١١٠ جزء ،بيروت ، ١٩٨٣م ، ٩٥/٤ .

١ - الكليني ،الكافي، ١٤٧/١ ،الشيخ الصدوق،عيون أخبار الرضا ، ١٦١/٢ .

٢ - الطبرسي(احمد ابن علي/ت٥٦٠هـ)،الاحتجاج،تحقيق السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان ، النجف ،١٣٨٦ هـ- ١٩٦٦م ، ٣٨٤/١.

ولا يـرد القـضاء إلا الـدعاء وان الرجـل ليحـرم الـرزق بخطيئـة يعـــملها)[1].

والمهم في نص الإمام علي (عليه السلام) هو تلك الإحاطة العلمية التي تتمحور في الصنف الثاني من القضاء الذي اخبر الخالق به نبيه وملائكته ،وفيه يخبرنا الإمام ان لديه ملكة المعرفة المستقبلية بإخبارنا بما كان وما يكون وما هو كائن ،وليست هذه نهاية المطاف بل ان هذه المعرفة بإمكانها ان تمتد إلى يوم القيامة ،الا ان الاستثناء صريح ، إذ ان آية يمحو الله ما يشاء ويثبت ،تعني ان الله هو عالم الغيب الأوحد ،وما يتبقى من الحوادث المستقبلية انما هو علم من الله .

وعلى هذا فان القضاء المطلق الذي لا يعلمه الا الله هو صور نهاية للأحداث المستقبلية التي ستقع فيما بعد ،ولا يعني هذا القول بالجبر او التفويض الذي يرفضه الإمام علي (عليه السلام)بقوله بالأمر بين أمرين[2] او قوله ان الله امر تخييرا ونهى تحذيرا وكلف يسيرا ولم يعص مغلوبا ولم يطع مكرها ولم يرسل عبثا [3] ،بل يعني المعنى الخاص بالمعرفة النهاية لله التي تحمل الحكمة كلها

---

١ - القزويني ،سنن ابن ماجه ،تحقيق فؤاد عبد الباقي، ٢مجلد ،الفكر ،بيروت. ، ٣٥/١ ايضا ١٣٣٤/٢ .

2 - انظر د.رحيم محمد سالم ،الاتجاهات الفكرية عند الامام علي ،ط١،مؤسسة الشهيدين الصدرين ،بغداد ،٢٠٠٧،ص١٢١.

3 - ،هادي آل كاشف الغطاء ،مستدرك نهج البلاغة ،دار الأندلس، بيروت ،ص١٧٨.

4 - انظر الإمام علي ،نهج البلاغة ،شرح محمد عبده ،١٧/٤.

والتي استنفدت تدخل الإنسان لتغيير الكثير من الأحداث التي تمر به (وهي رحمة من الله للإنسان) وفي هذا الصدد يقول الإمام عليه السلام حول القادم الحتمي (لا جاء يرد ولا ماض يرتد)(1).

ثانيا:مخاطبة القرآن للمستقبل بطريقة الماضي

ان المتتبع للآيات القرآنية الغيبية المستقبلية (2)، سيجد بان ألفاظا مثل(لتنبئنهم ،تنبئنهم ،انتبئون ،تنبئونه ،ينبئك ،نبئ ،نبئنا ،نبأت ،نبأني ،أنبأك ،انبؤني ،وغيرها من الألفاظ إنما تدل على المستقبل من الزمن ،وفي الوقت نفسه فان الكثير من المفردات الغيبية فانها تخص الماضي أيضا ،فقد قال تعالى :

- نحن نقص عليك نبأهم بالحق (١٣/الكهف)
- واتل عليهم نبأ ابني ادم بالحق (٢٧/المائدة)
- ويسألونك عن ذي القرنين (٨٣/الكهف)

وهكذا بالنسبة الى كلمات (نبأ من قبلهم ،نبأ نوح (عليه السلام) ،نبأ إبراهيم (عليه السلام) ،نبأ موسى(عليه السلام) وفرعون ،الخصم الذين تسوروا المحراب وغيرها من الكلمات التي تدل على صيغة الماضي .

والقرآن سفر جليل انطوت كلماته على مركب كبير من العلوم والغيبيات والحلول والنظريات ،ويلاحظ فيما يخص مفهوم

---

1 - علي بن أبي طالب ،نهج البلاغة والمعجم المفهرس لألفاظه ،ص١٤٢٣.

2 - حول هذا الموضوع راجع محمد فؤاد عبد الباقي،المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ،طبعة ذوي القربى ،ط٢،قم، ١٣٨٤هـ،ص٨٥٨.

المستقبل في القرآن إن توظيف القرآن للمستقبل يأتي غالبا بطريقة الماضي كما في قوله تعالى (**وأزلفت الجنة للمتقين . وبرزت الجحيم للغاوين**)(الشعراء/٩٠- ٩١) وغيرها من الآيات والسبب يرجع إلى :

١. ان هذا الأسلوب يشكل امتيازا تميزت به البلاغة القرآنية .
٢. ان الزمان نسبي بالنسبة إلى الخالق سبحانه ،لأنه خالق الزمان ،لذا فان الحديث عن المستقبل (المجهول عند الإنسان) هو حديث عن معلوم لا ريب فيه عند الخالق القادر .
٣. ان الإنسان يهتم بالماضي لتأكده من ذلك الماضي أكثر من اهتمامه بالمستقبل ،والخطاب القرآني هنا يشكل نوعا من مراعاة العقلية التي يخاطبها القرآن .

فكلمات القرآن الخارجة عن حدود الزمن موجودة قبل وجود الأشياء ،ومن ثم فهذه الكلمات تخاطب زمن ما قبل الرسول (ﷺ) وزمن الرسول وما بعده بأسلوب واحد عند الله الذي لا يحده الزمان والمكان ،ذلك يعني ان العلم القرآني محيط بكل الأزمان ،يعلم الغيب ويعطي أمثلة للناس عن ذلك الغيب المقبل .

في ذلك يقول الإمام علي (عليه السلام) ، ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن أخبركم عنه ألا ان فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي ودواء دائكم ونظم ما بينكم [1].

وهذه الكلمة تعبر عن الاختصار الشديد لمفاهيم علوم المستقبل وفلسفة التاريخ والعلاجات الحقيقية للمجتمع والإنسان بالإضافة إلى علوم الإدارة .

ثانيا :خارطة أولية للفكر المستقبلي في القرآن

أن المبرّزين من الخبراء في فن المستقبلية يحصرون مهامها في ثلاث[2].

١- مهمة التوقع.

٢- مهمة الإعداد للاختيار أو اتخاذ القرار.

٣- مهمة النقد العلمي للحاضر، أو إعادة القراءة للماضي.

وانطلاقًا مما تقدم، تكون المستقبلية عبارة عن منظومة أدوات معرفية ومنهجية، تعتمد في تحاليلها أسلوبًا نقديًا، مسترسل التساؤل العلمي حول ثبات الفرضيات التي انطلقت منها، لتصور التطورات والتغيرات للموضوع المدروس أمام إمكانية صدق توقعاته، تستخلص منها مشاهد محتملة الوقوع،

---

1 - الإمام علي بن أبي طالب ،نهج البلاغة والمعجم المفهرس لألفاظه ،ص١٥٨

2 - موقع الدكتور محمد بريش

http://www.alukah.net/Web/brich/0/1272

وأشكال لرسم مسار التطور والتغيير المرتقب. وكل هذا توقع وتخمين وقياسات تنتمي الى العلم ،نعم ،لكنها لا تبلغ المصداقية التي تحتوي عليها معلومة القرآن الكريم وهي نسبية وجزئية عند المقارنة مع الفكر القرآني .

فالحتميات المستقبلية في القرآن الكريم تشير الى نماذج ثابتة الصحة واليقين وهي متعلقة بالغيب او المستقبل مع ملاحظة ان الزمن في القرآن الكريم متصل اذا تعلق بلفظة الغيب او التنبؤ اذ ان لا زمن اكبر من فعل الله ،وعند اعتماد هذه التصنيفات فلأنها تتعامل مع الإنسان .

وقد يساعدنا هذا الجدول لمقارنة الأفكار المستقبلية المعاصرة مع الفكر المستقبلي في القرآن الكريم :

ملامح الدراسات المستقبلية المعاصرة	الفكر المستقبلي في القرآن	ملاحظات
التسبية في طرح او معالجة أو فهم او نتائج الافكار المستقبلية	المطلقية في طرح ومعالجة و نتائج وأهداف الفكر المستقبلي	يشمل ذلك الحوادث المتعلقة بالإنسان والبيئة والميتافيزيقيات
الزمن هنا نسبي ولا يمكن السيطرة عليه الا بالتخمين	للزمن في القرآن حالتان فهو نسبي وشبه مطلق (لارتباطه بقدره الله) وهو مسيطر عليه .	
تعتمد الدراسات المستقبلية منهجية التخمين .	لا يوجد مفهوم تخميني في القرآن الكريم ،فهو يعتمد مفهوم اليقين	
تعتمد على رصد وتوجيه التغيرات في الفعل الإنساني او البيئة	يعتمد القرآن على رصد وتوجيه وتقديم معالجات للفعل الإنساني او الاجتماعي والبيئي	
لا تتعرض لمستقبل نهاية البشرية	يتطرق القرآن الكريم لمستقبل نهاية الكون والبشرية	
لا تتطرق لمستقبل الانسان في العالم الآخر	ان اغلب كلمات القرآن توجه لتوضيح الرؤية للعالم الآخر	ذلك يشير الى قصور الفهم المستقبلي الحديث في هذه النقطة .
تعتمد هذه الدراسات على مفهوم التنبؤ والذي يمثل آلية معتمدة وهو تنبؤ	يقول القرآن الكريم بمفهوم التنبؤ وهو مشتق من العلم الإلهي ، لذا فهو لا يتصف بالتقدير بل بالإطلاق	

تقديري		
تعطي هذه الدراسة اهمية كبرى للاحتمالات والاستبانات والتقديرات	لا يعتمد القرآن الكريم على مفهوم الاحتمالات اذا كانت تشير إلى معرفة ظنية .	نجد اسلوبا تعليميا في قصة إبراهيم (عليه السلام) مع الشمس يشير الى الاحتمالات التعليمية
استخدام البيانات	بوصفه كتابا علميا ،يعتمد التوجيه فان القرآن يستخدم هندسة حسابية قد نجهلها في الوقت الحالي لضعف أدواتنا المعرفية .	
نتائجها غير يقينية	نتائجه يقينية	
تتعامل هذه الدراسات مع التاريخ وفلسفته	يتعامل القرآن الكريم مع التاريخ ونتائجه	ان القرآن الكريم يصف المستقبل من خلال الماضي
تحريك الوعي الإنساني الفردي للاهتمام بالمستقبل	تحريك الوعي الإنساني الجمعي للاهتمام بالمستقبل	
ان غايات الاهتمام بالمستقبل هنا هي غايات سياسية نفعية برجماتية	غايات القرآن الكريم إنسانية عامة إصلاحية	
	ربط المستقبل بهوية الانسان المسلم في الحاضر والمستقبل .	
المستقبل في	يطلق القرآن لفظة الغيب على	

هذه الدراسات يتسم بالقلق ويرتبط بالجانب السياسي	المستقبل وهو لا يطرحه بوصفه امرا مقلقا ،بل هو اقرب الى الطمأنينة واليقين ،وهو هنا يبتعد كثيرا عن تحجيمه بالجانب السياسي ،بل يأخذ محور الجانب الإنساني العام .	
لا تعتمد تلك الدراسات الرؤيا اسلوبا من أساليبها	يعتمد القرآن الكريم مبدأ الرؤيا الصالحة بوصفها واحدة من أهم الأدوات لاكتشاف المستقبل	
اعتماد التخطيط	اعتماده التخطيط	
قواعده الثابتة تتبنى الرياضيات او الاستقراء المنطقي او الاستبانات	قواعده المستقبلية تعتمد على مفاهيم السنن الثابتة	
يعتمد مبدأ السببية العلمية	يعتمد مبدأ السببية	كما في قوله تعالى لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وغيرها الكثير

ثالثا : يمكن رسم تلك الخريطة التي تتعامل مع المستقبل في القرآن على أساس :

١- **أحداث مستقبلية قصيرة الأجل:**

ومزيتها انها (او بعض أحداثها) لا تمتد إلى زمن بعيد ،وهي تتعلق بجزئيات تخص المجتمع ،مثل التكليف او الإرشادات و بعض التبشير كما في التبشير بفتح مكة ،والوعد للمهاجرين بالنصر ،والوعد بمجيء الأحزاب وانهزامهم ،الوعد بدخول الرسول(ﷺ) الى المسجد الحرام والتحذير او الخيرة والتفاؤل والإيمان بالقدر ومنها ما حدث مع قصة الخضر وموسى(عليهما السلام) او مع ام موسى عند إلقاء ابنها في النهر او مع ابن نوح عليه السلام وغيبيات السيدة مريم (عليها السلام) وما اتصل بالإشارة الى الأحداث القادمة للرسول(ﷺ) ،وكثيرة هي الحوادث المستقبلية التي ذكرها الكتاب المقدس .

٢- **أحداث مستقبلية متوسطة الأمد :**

وهي تأخذ مديات زمنية قد تتسم بكونها أطول نسبيا من القصيرة ولعلها تصل إلى عشرات السنوات ،ومن ذلك الوعد بنهاية فرعون ونهاية وعذاب الأمم الغابرة والجانب المستقبلي في قصة يوسف (عليه السلام) وهي بمجملها قصة تأخذ طابع الحديث عما يكون ابتداء من الرؤية إلى تعامل الأب مع غياب ابنه إلى رؤيا القحط إلى التقاء العائلة .

ومن المستقبليات المتوسطة الزمن نجد التيه الذي حدث لبني إسرائيل وذكر هزيمة الفرس على يد الروم .

٣- **أحداث مستقبلية طويلة الأمد :**

كما في قصة الكهف ،قصة عزير ،التبشير بظهور الرسول (ﷺ)وظهور الحجة (عج) ،العلامات الخاصة بقيام الساعة ،قال تعالى(**قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**)(الأعراف١٤)

٤- **مستقبليات إستراتيجية حتمية خاصة :**

وتحمل نوعا من الأهمية منها حفظ القرآن من التغير و الوعد باستخلاف الأرض للمؤمنين والقرآن الكريم يشير في موضوعات عديدة إلى هذا المستقبل(**وكتبنا في الزبور بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادي الصالحون**)(١٠٥ الأنبياء)([1]).

ومن ذلك التبشير بنصر الإسلام ومن أهم هذا الصنف هو ما تمثل بالسنن القرآنية الخاصة بالإنسان والمجتمع وسوف نتناولها لاحقا بشكل منفصل .

٥- **مستقبليات تعتمد قواعد بيانات الماضي :**

قال تعالى ((**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ**

---

1 - هنري كوران ،تاريخ الفلسفة الإسلامية ،عويدات ،بيروت ،ترجمة نصير مروة،حسن قبيسي ،راجعه الإمام موسى الصدر والأمير عارف تامر ،ط٢ ،١٩٨٨،المقدمة .

اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ) (آل عمران٣٠) وهي تشير إلى ارتباط المستقبل بالماضي .

٦- مستقبليات حتمية عامة :

وهي الخاصة بالحشر والبعث والحساب و نهاية الكون،قال تعالى(يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (الزلزلة٤) وقال سبحانه ((يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (الزلزلة٦) وقال سبحانه (وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (البروج٢)

٧- مستقبليات تتعلق بمفهوم السببية :

وتتحدث عن علاقة سببية بين حدثين ،ومنها ما يخص السنن الإلهية بدلالة الشرط (إن تنصروا الله ينصركم ،ان تتقوا يستخلفكم في الأرض ،من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم) وغيرها من السببيات التي تتعلق بصدق وقوة فعل الإنسان المواكب والمتفاعل مع فعل الخالق سبحانه .

رابعا :وسائل القرآن في التعبير عن المستقبل

ذكرنا أن القرآن الكريم يعبر عن المستقبل أحيانا بصيغة الماضي والسبب أن الزمن نسبي بالقياس الى الخالق ،وفي القرآن الكريم أدوات مهمة تعالج المستقبل وتفسر اكتشافه ومنها :

١- الرؤيا الصالحة :

وهي منظومة من الرموز التي ترتبط بالميتافيزيقا(العامل الخارجي) وبدواخل الإنسان (العامل الداخلي) ويتواصل معها

الإنسان خلال النوم اما الرؤية التي خلاف النوم فيمكن ان تصنف على أساس الوحي او الفيوضات و البوارق التي يراها العارفون والمتصوفة وهو أمر عرفه الكثير من فلاسفة الإسلام ومفكريهم ومنهم إمام العارفين الإمام علي(عليه السلام) والغزالي وصدر الدين الشيرازي والسهروردي وابن عربي وغيرهم الكثير ، والبعض من هذه الرموز يعبر عن حقيقة قد تكون غير ملموسة الا انها تحمل رموزا يمكن لمن عرف هذا العلم ان يقدم من خلاله تصورا عن المستقبل وأحداثه ،وعرفنا في التاريخ أسماء مهمة فسرت الأحلام وأبدعت فيها ومن ذلك بحسب التسلسل الزمني يوسف الصديق(عليه السلام)والنبي (صلى الله عليه وآله) والإمام علي(عليه السلام)والإمام الصادق (عليه السلام) وابن سيرين وغيره .

٢- **السببية** والقواعد العلمية في القرآن الكريم ،وقد ذكرنا ما يتعلق بالسببية .

٣- **الفراسة** :ويمكن ملاحظتها مثلا في قصة الخضر(عليه السلام) مع موسى (عليه السلام) وفي كثير من قصص القرآن .

٤- الوحي

٥- الحدس

٦- الإلهام

ان الصفة الأساسية للآيات التي تتناول المستقبل هو حتميتها وصدقيتها فهي لا تنتمي الى عالم التخمين و الظن وهي غير خاضعة الى التجربة ، فكل آيات القرآن التي تتناول الغيب تعد إقرارا بحتمية الفعل الصادر عن الخالق سبحانه .

وهذه الآيات تحمل معاني عديدة منها الإعجاز والقدرة الإلهية والقوة وشد الأنظار الى المستقبل وتقوية عزيمة المؤمنين وحمل المغالطين على اليأس من محاربة المؤمنين ،بالإضافة الى إقرار حتمية إلهية لا مجال لتأويلها تقول بان الله او الخير سينتصر في النهاية ،وتحمل الآيات التي تتناول الغيب او علم المستقبل إعجازا علميا وطبيعيا واجتماعيا بمعرفة أخبار الفتن القادمة وأحوال الأمم فيما بعد واختلاف الناس وإشارات للعذاب والعقوبة ويمتد نطاق تلك الآيات الى رسم صور نهاية العالم والظواهر الطبيعية المصاحبة لتلك النهاية بالإضافة الى العالم الآخر والحساب والثواب ،وكل ما يتعلق بالحياة الأخرى .

خامسا :بعض من الآيات التي تدل على المستقبل

قال تعالى في القرآن الكريم :

١. سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ(فصلت/ ٥٣).

٢. إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ(الحجر/٩)

٣. (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ(النمل/ ٩٣)

٤. (إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ(ص/٨٧-٨٨).

٥. (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ(يونس/ ٣٨. ٣٩).

٦. (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القرآن لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا(الإسراء/ ٨٨).

٧. إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ القرآن لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ. وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ(القصص/ ٨٥. ٨٦)

٨. إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا. لِيَغْفِرَ لَكَ اللّٰهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا. وَيَنْصُرَكَ اللّٰهُ نَصْرًا عَزِيزًا(الفتح/ ١. ٣).

٩. لَقَدْ صَدَقَ اللّٰهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ

تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا(الفتح)

١٠. يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ(الصف ٨- ٩)

١١. سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ(القمر/ ٤٥)

١٢. الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ. بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ. وَعْدَ اللَّهِ لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ(الروم/ ١- ٦)

كان من أشهر النبوءات اندحار الفرس أمام الروم في بضع سنين من نزول الآية ولقد انتصر الروم بعد سبع سنين – والسبع داخلة ضمن كلمة بضع – ففي ٦٢٧م وقعت معركة بين الروم والفرس قرب خرائب نينوى، خسر الفرس فيها .أنَّ المناطق التي وقعت فيها المعركة كانت في جنبات البحر الميت، ولقد اكتشف العلماء بعد قرون أنّها أكثر مناطق العالم انخفاضا، فهي إذن بالتعبير القرآني "أدنى الأرض"، وهي تبلغ ٣٩٥م تحت الأرض؛ ولم يكن ليقاس هذا الانخفاض لولا تقنيات القياس الحديثة.

سادسا :السنن القرآنية(الإستراتيجية) التي تواكب المستقبل

يمكن وصف السنن القرآنية بالأحداث أو الأفعال الإستراتيجية لا التكتيكية التي تواكب فعل المجتمع الإنساني العام ،فهي مسائل مصيرية ثابتة تحمل طابعا عاما يتصف بالتنبؤية والمستقبلية وتعد غاية في الأهمية بالنسبة إلى المجتمع فهي قواعد حتمية ومن ذلك .

١. سنّة الاستخلاف

قال تعالى :﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**] {النور: ٥٥}

ان الوعد الاستخلاف المستقبلي يبدو مشروطا كما تبين معادلة الآية القرآنية بفعل الإنسان والقضية تبنى على المعادلة الاتية ﴿الإيمان + عمل الصالحات ﴾ = الاستخلاف ،والمهم في المسألة ان بداية الفعل ستكون من الإنسان أي (الزمن الحاضر) لكي يتحقق الزمن المستقبلي .

يقول خبير المستقبليات د.محمد بريش في ضوء ذلك، لا تكون المستقبلية ذات جدوى من وجهة نظرنا إلا إذ كانت منبثقة من

الإيمان بأن الله ممَكّن للمسلمين دينَهم الذي ارتضى لهم، وأن مستقبلهم بيدهم فلينظروا لشروطه، وأن الغد غدهم فليعملوا على تحقيق سبل تحصيله ([1])

٢- سنة النصر لعباده الصالحين

قال تعالى (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ)(غافر: ٥١)، وقال تعالى} :إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ] {محمد: ٧)

٣- سنة الاستبدال:

قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ{ المائدة: ٥٤)

٤- سنة آجال الأمم:

قال تعالى :وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ)(الأعراف: ٣٤)

١- سنة التغيير

قال تعالى :(لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)(الرعد ١١)

٦- سنة التداول :

---

1 - د.محمد بريش ،مستقبل مجال الفعل ،موقع الالوكة و موقع الدكتور محمد بريش http://www.alukah.net/Web/brich/0/1272

قال تعالى (**وتلك الأيام نداولها بين الناس**)(عمران ١٤٠)

والخطر يكمن خاصة عند المهتمين بتلك العلوم والفنون في عدم التمييز بين "التداول" و"التقدم". فتداول الأيام سُنة من سنن الله في الكون، قائمة دائمة إلى أن يشاء الله، وهي الأساس في التغيير، وهو مخالف للتقدم الذي قد يحصل حين التداول أو لا يحصل. ([1]).

أي ان التقدم هنا يمثل نوعا من التنمية المتغيرة اما التداول فهو قاعدة ثابتة إستراتيجية تمثل محورا مهما من محاور البناء الاجتماعي والفكري للناس .

ويلاحظ على هذه السنن بالإضافة إلى معنى الشرطية التي تحملها التكريم الكبير من رب كبير ، ففيه تقدير للإنسان الذي يحمل مواصفات مهمة يمكنه من خلالها ان يعمل وينتج ويطور ويشغل قدراته الكبيرة التي حباه بها خالقه .

وهو وهذا ما تجلى بأبدع صورة في الخطة المستقبلية الحكيمة التي وضعها نبي الله يوسف عليه السلام في تأويله لرؤيا الملك، وقد وردت في الذكر الحكيم تتلى إلى يوم القيامة لاستخلاص العبرة منها، قال تعالى: (**يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ**

---

1 - د.محمد بريش ،مستقبل مجال الفعل ،موقع الالوكة و موقع الدكتور محمد بريش http://www.alukah.net/Web/brich/0/1272

لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ. قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ. ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ. ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ{ (يوسف: ٤٦- ٤٩) ([1]).

ان البعد المستقبلي في هذه القصة جاء من خلال الرؤية التي فسرت بعلم لا يمكن للدراسات الحديثة ان تحيط به لأنها دراسات تخمينية قد تخطئ وقد تصيب ،اما بالقياس إلى قدرة النبي يوسف (عليه السلام) فان الحلول المقدمة لتحليل القصة او لما بعدها يمثل فهما مستقبليا يعد غاية في الدقة ،ولهذا جاءت النتائج يقينية وتامة وتتوافق مع الخطة الإستراتيجية التي رسمها الصديق ،تلك الخطة التي تعاملت مع تحدي الطبيعة (البيئة بالذات) المتمثل بالقحط بالإضافة إلى تحديات اجتماعية ونفسية (تتعلق بالصديق وبطرح الرسالة النبوية وصراع الماضي والمستقبل مع إخوته وبفئات اجتماعية أخرى) .

فالمقدمة بنيت على تفسير المعطيات التي واكبت الرؤية وعند فهم المشكلة باشر الصديق إيجاد الحلول الأكيدة لتغيير مسير

---

1 - محمد فالح الجهني ، الدراسات المستقبلية شغف العلم.. و ..إشكالات المنهج، مجلة المعرفة ، العدد ١٧٥ ، ٢٠١٠.

عاصفة الجوع تلك فقام برسم السيناريو(الخطة المتسلسلة لمعالجة حادثة ما) وتنفيذ العلاج ،فنجح نجاحا كبيرا .

ان الدراسات المستقبلية قد لا تعترف اليوم كثيرا بالرؤية ،وذلك يعني قصورا بالياتها ،أي انها لم تصل بعد إلى النضج الكافي للتعامل أو لفهم آلية عمل الأنبياء .

مصادر الفصل الثاني

١. لويس معلوف ، المنجد في اللغة ،طبعة ذوي القربى ،١٤٢٩هـ .

٢. موقع موسوعة الوكيبيديا http://ar.wikipedia.org/wiki

٣. Edward Cornish-The Study of the Future,World Future Society, Washington.1977,pp.

٤. فلية ، فاروق عبده والزكي، أحمد عبد الفتاح، الدراسات المستقبلية(منظور تربوي)، دار المسيرة ، عمان ، ٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .

٥. د.عبدالعزيز بن جارالله ، عرب بلا مستقبليات ،مجلة المعرفة السعودية،ع١٧٥، ٢٠١٠.

٢- ضياء الدين زاهر ، مقدمة في الدراسات المستقبلية: مفاهيم- أساليب- تطبيقات، القاهرة، مركز الكتاب للنشر، ٢٠٠٤م .

٣- ضياء الدين زاهر ، مقدمة في الدراسات المستقبلية .

٤- د. أحمد صدقي الدجاني، "الدراسة التاريخية و المستقبلية في التراث العربي الإسلامي"، محاضرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٠.

٥- د. قاسم محمد النعيمي ، المستقبل والاقتصاد في الدراسات المستقبلية ، مجلة كلية التجارة والاقتصاد ، جامعة صنعاء ،ع ١٥- ١٦ .

٦- انظر الكليني ،أصول الكافي ،تحقيق علي اكبر غفاري ،ط٢ ،٨مجلدات ،طهران ،١٣٨٨هـ .

٧- الصدوق ،عيون أخبار الرضا،تحقيق حسين الاعلمي ،ط٢، ١مجلد ،بيروت ،١٤٠٤هـ،١٦١/٢

٨- د.محمد بريش ،مستقبل مجال الفعل ،موقع الألوكة و موقع الدكتور محمد بريش http://www.alukah.net/Web/brich/0/1272

٩- المجلسي(محمد باقر/ت١١١١هـ)،بحار الأنوار ،مؤسسة الوفاء، ١١٠ جزء ،بيروت ،١٩٨٣م .

١٠- الطبرسي (احمد ابن علي/ت٥٦٠هـ)،الاحتجاج،تحقيق السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان ، النجف ،١٣٨٦ هـ- ١٩٦٦م ، ٣٨٤/١ ،

١١- القزويني ،سنن ابن ماجه ،تحقيق فؤاد عبد الباقي،٢مجلد ،الفكر ،بيروت.

١٢- درحيم محمد سالم ،الاتجاهات الفكرية عند الإمام علي ،ط١،مؤسسة الشهيدين الصدرين ،بغداد ،٢٠٠٧ .

١٣- آل كاشف الغطاء،هادي،مستدرك نهج البلاغة ،دار الأندلس، بيروت .

١٤- الإمام علي ،نهج البلاغة ،شرح محمد عبده ،ط بيروت .

١٥- محمد فؤاد عبد الباقي،المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ،طبعة ذوي القربى ،ط٣،قم، ١٣٨٤هـ .

١٦- الإمام علي بن أبي طالب ،نهج البلاغة والمعجم المفهرس لألفاظه ،دار التعارف ،ط١ ،بيروت ، ١٤١٠- ١٩٩٠.

١٧- موقع الدكتور محمد بريش
http://www.alukah.net/Web/brich/0/1272

١٨- هنري كوران ،تاريخ الفلسفة الإسلامية ،عويدات ،بيروت ،ترجمة نصير مروة،حسن قبيسي ،راجعه الإمام موسى الصدر والأمير عارف تامر ،ط٢ ، ١٩٨٨.

١٩- محمد فالح الجهني ، الدراسات المستقبلية شغف العلم.. و ..إشكالات المنهج، مجلة المعرفة ، العدد ١٧٥ ، ٢٠١٠.

الفصل الثالث

الحداثة النسبية والحداثة القرآنية المطلقة

- معنى الحداثة
- خصائص الحداثة الغربية
- الفهم والتأويل الخاطئ لحداثة القرآن الكريم
- خصائص الحداثة القرآنية المطلقة

مقدمة

تعبر كلمة حداثة عما يتضمن تحديث و تجديد ما هو قديم ، وبرز هذا المصطلح في المجال الثقافي والفكري ،فإذا فهمنا أن التاريخ الإنساني العام يتكون من الحضارات القديمة كالسومرية والآشورية والبابلية والفرعونية تبعتها حضارات اليونان والرومان والحضارة الإسلامية ثم حضارة القرون الوسطى التي تمثلت بالقديس أوغسطين لتأتي بعد ذلك الحضارة الحديثة على يد ديكارت ومن تبعه وأخيرا حضارة ما بعد الحديثة(الحداثة) التي تميز بها القرنان الأخيران . فان كل ذلك يعني خلق جملة من الصور والنظريات الجديدة للبشر ومسح أو تعديل الصور القديمة،على مستويات الدين ربما والاقتصاد والقانون والعلم والعمران والبناء الاجتماعي .

إن البعض من المفكرين يؤرخ بداية الحداثة في عام ١٤٣٦، مع اختراع غوتنبرغ للطباعة ، والآخر يرى أنها تبدأ في العام ١٥٢٠ مع ثورة لوثر ضد سلطة الكنيسة. مجموعة أخرى تتقدم بها إلى العام ١٦٤٨ مع نهاية حرب الثلاثين عام ومجموعة خامسة تربط بينها وبين الثورة الفرنسية عام ١٧٧٦ أو الثورة الأمريكية عام ١٧٨٩ وقلة من المفكرين يظنون أنها لم تبدأ

حتى عام ١٨٩٥ مع كتاب فرويد "تفسير الأحلام" وبدأ حركة الحداثة (modernism) في الفنون والآداب.

ومع أن الفكر بشكل عام سلسلة متصلة من المعارف الفكرية إلا انك تلاحظ تميز الفرد من الآخر والبلد من سواه وحضارة من حضارة ولا يخفى ان حاجة المجتمع أحيانا هي من يحدد الابتكار والأفكار على المستويات الفكرية ،العلمية، الثقافية كافة .

لكن العامل الأهم في مسالة الحداثة إننا لا نستطيع إطلاق هذا المفهوم كما افهم على أنموذج مرحلي أو آني أو يتيم للتطور أو التغيير دونما سواه بل يمكن فهم الحداثة على نحو من الجانب العام من التغيير والتجديد ،الشامل منه المؤثر في المجتمع الذي يمثل نقلة نوعية في مسير الحضارة والمغير لما بعده ،المستلهم للتراث السابق (وإلا كيف نطلق على ما بعده اسم الحداثة إذا لم يكن عبارة عن تحديث للسابق).

مع هذا فالمسألة تحوي شيئا من النسبية في الطرح فالحضارة السومرية والآشورية البابلية تعد (مبتكرة، مغيرة، مجددة، محدثة) بالقياس إلى حضارات سابقة لم تكن تعرف العجلة أو الكتابة وكذا الحضارة اليونانية مقارنة بسابقاتها أما الحضارة الإسلامية فقد قدمت ما يماثل مواصفات) التغيير والابتكار والتجديد والحداثة) فإذا كان

السؤال هل قدمت الحضارة الإسلامية ما هو جديد؟ سيكون الجواب ،إن التغيير الفعلي لحداثة الإسلام تمثل بجعل الكلمة الواحدة الثابتة بعد طول انتظار والمنهج الواحد الثابت هما الأساس الأول للحداثة في الحضارة الإسلامية وهو ما تمثل بالقرآن الكريم ،أي إن الفكر والتجريد والكلمة وهما الأكثر سموا من بين العديد من أشياء العالم ،كان الأساس للحضارة الإسلامية .

فكان من خصائص تلك المرحلة ، شيوع التفكير العقلي والتجريبي والحدسي والشكي والمناهج الجدلية والتحقيقية والعقلية ....الخ.

وما قصدته بمفردة بعد طول انتظار ان الحضارات القديمة لم تمتهن الكلمة الثابتة منهجا ثابتا وطريقة للبناء والتقدم ، والإشارة إلى ان اليونان اتخذت من الكلمة مشروعا للبناء يعارضها ان اليونان لم يتخذوا منهجا واحدا ثابتا بل تبنوا عددا من الآراء والجزئيات ومجموعة كبيرة من الكتب الفكرية المتنوعة صنعت تاريخا لحقبة محددة ،كل ذلك مفهوم ولكن قل لي أي من كتب اليونان يستخدم اليوم على نطاق واسع كدستور ثابت منتج ومثمر يحتاج اليه الإنسان في كل حين ليربيه أو ليعطيه المعارف الفكرية والأخلاقية بشكل تطبيقي وملامس للمجتمع بشكله العام، أي من الكتب اليوم لا

نستطيع الاستغناء عنه لأنه مهم في كل لحظة (مهم في ذاته) حتى وان لم يستطع المجتمع أن يفهم كل مراميه.

انه القرآن الكريم لكونه النسيج المعرفي المتعدد الوجهات الثابت في مبادئه الأساسية وصياغته العامة.

والقرآن حداثة متجددة لان في كلماته ديناميكية متحركة ،وربما يمكن عد كتاب فرويد ودارون والأمير لمكيافلي كتبا حداثوية لأنها قامت بالتغيير في المجتمع،نعم ربما لمدة آنية من الزمن تنتهي بعد حين بطرح نظرية أخرى بديلة ولكن بالمقابل ألا يمكننا عد القرآن من المؤثرات المهمة في المجتمع لأنه يحمل الدلالة الثابتة النهائية لمعرفة الأشياء.

بكل تأكيد لان ذلك يوافق كون القرآن احدث ثورة أخلاقية وفكرية وثقافية وإنسانية وعلمية في المجتمع .

فذلك الكتاب لا يزال يحدث الأثر العلمي والفكري والأخلاقي وهو ما يعني استمراريته بالقياس إلى الكتب التي عدت كتبا حداثوية وانتهى مفعولها بعد مدة من الزمن بتطور الأحداث والعلوم والتجارب والنظريات ،وهذه الوقائع لا تعني مطلقا تأثيرات البيئة واختلاف الشعوب ،بل تعني القيمة التأثيرية التغيرية للشيء في ذاته للمجتمع والحضارة .على هذا النحو يجب القول ان علينا التمييز بين حداثة مطلقة وحداثة نسبية خاصة بالقرآن الكريم .

معنى الحداثة

في المعجمات يرد لفظة حدث بصيغة الحادث وهو ما يجد ويحدث وهو ضد القديم ،والحداثة بفتح الحاء والدال هي سن الشباب ويقال اخذ الأمر بحداثته أي بأوله وابتدائه ،والمحدث ما لم يكن معروفا في كتاب ولا سنة ولا إجماع ،والمحدث بكسر الدال هو المجدد في العلم والفن (١) .

وفي اللغات الغربية تكون الحداثة مقابل لـ "Modernity" و الحداثية لـ "Modernism" و الحديث مقابل لـ "Modern" أ و "Modernistic" و التحديث مقابل لـ "Modernization" ولفظة Modenzise تعني يجدد أو يجعل الشيء ملائما لمقتضيات العصر .(٢)

نشأت الحداثة في أوروبا منذ اللحظة التي تفككت فيها الثقافة الدينية و ظهرت الثقافة العلمانية ، مناهضة لجميع مبادئ الميثولوجيا التي قام عليها الدين، أي مع ولادة النظام الرأسمالي في أوروبا أي المجتمع الصناعي " Industry society .

و هكذا خرجت الحداثة من رحم الإقطاع وكان عنوانها الأساسي في الفكر هو "التنوير" و في الحكم أو السلطة هو "العلمانية" (أي فصل الدين عن الدولة). وإذا نظرنا إلى الحداثة من الناحية التاريخية، استنادا إلى إطار واسع انطلاقا من

التجربة الأوروبية مذ نهاية القرن الخامس عشر وحتى القرن العشرين، نجد انها تتميز بثلاث خصائص:١- الحداثة بوصفها بنية كلية.٢- الحداثة بوصفها سياقا شاملا.٣- الحداثة بوصفها وعيا نوعيا.(٣)

ومن الفهم السابق للتعريفات ربما تستوقفنا مفردة أو تعريف (جعل الشيء ملائما لمقتضيات العصر)، فمسالة الحداثة تعني تغييرا وتطورا وتبديلا وابتكارا وتجديدا...الخ وهذه أمور تتبدل بتبدل الحاجة الإنسانية أو الفكر الإنساني أو الأدب وغيره ، ومن هنا فهي أمور نسبية.

فالشعراء الرمزيون في ١٨٨٠ مثلا أحالهم إلى التقاعد الصوريون والسرياليون والمستقبليون والشكلانيون وسواهم ، بدءا من ١٩١٠ فصاعدا ، وفي الدراما نُحي إبسن وسترينبرج جانبا وساد بريخت لمدة من ١٩٢٠ إلى ١٩٥٠ . (٤).

ويمكن القول ان الحداثة هنا هي امر طبيعي او هو موجود بوصفه حالة طبيعية تسير على وفق التطور الحضاري والفكري والإنساني، فلا يمكن عده نسيجا من صنع حضارة ما كما هو الحال في حضارة اليونان والرومان والحضارة الإسلامية لأننا يمكننا ان نصف القفزة الحضارية للفكر الإسلامي بالحداثة وكذا بالنسبة الى آراء المعتزلة او الشيعة او آراء ابن سينا والفارابي وابن رشد والشيرازي .

خصائص الفكر الحداثوي الغربي

تبنى الفكر الغربي منهجا للتغيير يترفع عن كثير من القيود ومنها الأخلاقية والإنسانية ،ويبدو ان إشكالية المسالة تتعلق بذات الفرد الغربي الذي يحاول تعويض النقص او النقوصات التي لحقته على مر التاريخ من تخلف حضاري او ضياع هويته او القضية الأكثر قوة وموضوعية والمتعلقة بسيطرة الكنيسة على ذات الفرد الغربي بطريقة مهينة و لا عقلانية مما ولد ردة فعل انهزامية تمثلت بالثار من القيم والمبادئ الدينية منها او الإنسانية ، وكانت بشكلها العام خصائص انطلق منها الفكر الغربي لبناء حضارة تتمتع وتؤمن بالعلم والتقدم والابتكار ،بل تتسابق في إخراج كل ما هو جديد بروح تبتعد كثيرا عن النزعة الإنسانية ،ولا مثال أوضح من سيطرة البلدان الغربية على مقدرات الدول (الفقر- غنية) ،وعلى أي حال فان سمة الحداثة الغربية تتصف بالاتي :

١. بحساسيتها المفرطة تجاه الدين ، فهي تأتي ردة فعل ضد الدين ، ويعتمد على آخر الأفكار التي ينظرها المفكرون والفلاسفة ،وقد اقتصروا بشكل أساس على خليط من التجديد يبنى على حداثة المجتمع والفكر والعلوم ولا تجد مطلقا أفكارا حداثوية في

الفكر الغربي بشكلها العام تتبنى الدين بل على العكس فهي تهاجمه .

٢. تبني العلم والفن والأدب كأهم أفكار الحداثة ،مع إعطاء الأولوية للعلم مقارنة بالأدب والفن والفكر ،وهذا يجعل الحداثة الغربية تبتعد قليلا عن الشمولية ،ونلاحظ ألفاظا علمية منها عصر الكومبيوتر، ثورة الالكترونيات، انفجار المعلومات، ثورة المعلومات، ثورة العلم والتكنولوجيا، ثورة الاتصالات، و عصر اقتصاد المعرفة. وهناك محاولات عديدة من قبل الفلاسفة و مؤرخي التكنولوجيا و علماء الاجتماع لإبراز السمة الرئيسة لمجتمع الغد .

٣- اتصافها بالنسبية ،وذلك يعني انه كلما جاءت امة لعنت أختها على مستوى المدارس والفنون والأدب،وهي لعبة تبدو اقرب إلى الاستثمار والسباق منها إلى الوصول إلى القيم الحقيقية في مختلف المجالات والفكرية والأدبية والثقافية .كما ان هذه المسالة تفقد الأشياء قيمتها المعنوية .

٤- ان الحداثة و النزعة الحداثية، هي بنية المجتمع الحديث و وعيه لذاته،و ترتكزان على عملية التحديث، أي على جدلية التغير و التحول، فالحداثة كالتحديث اي تمرد

دائم على كل ما يحجر أدوات إنتاج المجتمع و علاقاته في قيود التي تعني التخلف، والتحديث كالحداثة تطلع دائم إلى المستقبل ، لذا من الممكن القول بأنه لا حداثة بدون تحديث. (٥)

٥- ذكرنا سابقا ان الحداثة الغربية تبنت الحداثة بـ

١- بوصفها بنية كلية.

٢- بوصفها سياقا شاملا.

٣- والحداثة بوصفها وعيا نوعيا.

٦- الحداثة الغربية تسعى إلى التحرر من التبعية من كل شيء ، ومنها المبادئ

٧- فتبين معالم الحداثة الغربية بعلاقتها غير التوافقية مع ما يسمى بالتقليد أو التراث أو الماضي، فالحداثة هي حالة خروج من التقاليد وحالة تجديد وكسر للجمود ،فهي تتعارض مع كل ما هو تقليدي، و تنفي الثقافات التي سبقتها.

٨- أنها تعني التغيير المستمر، وإن كان هذا التغيير يؤدي في كثير من الأحوال إلى أزمات داخل المجتمعات التي تجد نفسها مضطرة إلى مراجعة القديم على أساس من العقلانيّة، والعقلانية هي التي تؤدي إلى الحداثة وليس العكس.

٩- تقرر الحداثة الغربية أنّ الحقائق تستمد قيمتها من كونها نتاجاً للعقل البشري، وتقرر أيضا حرية الاختيار للقيم والأساليب، ومن ثم فهي تستبدل العلم محل الإله.

١- والحداثة هي الوجه الذي ينصرف إلى الإنشاء والابتداء على مستوى الفكر والإبداع، بينما التحديث هو الوجه الذي ينصرف الى تغير أدوات الإنتاج المادية في المجتمع الذي هو سياق التحول الاقتصادي والتكنولوجي.

الفهم العربي الخاطئ لحداثة القرآن الكريم

يطالعنا بعض الباحثين بأفكار متعددة ينطلق البعض منها زاوية الجهل بالتفسير أو التأويل بينما ينحدر البعض الآخر إلى نوع من القصدية في التحريف والاستنتاج ،ففي كتاب التراث والحداثة لمحمد عابد الجابري الذي يحاول فيه ان يقطع لفظة التراث ويحيلها إلى جماد لا فائدة منه ، نراه يخطئ في تحليل مفردة (**تأكلون التراث أكلا لما**)باعتبار ان لفظة التراث (كما يورد) لم ترد في القرآن سوى بهذا الخصوص وإنها مرتبطة بالمادة وان التراث الثقافي والأدبي والديني والفكري لم يكن موجودا عند الأسلاف ،والحال ان ذلك يدل على محدودية الفكر القرآني فلا حاجة إلى اعتبار الأسس الفكرية القرآنية نسبية تتغير باستمرار أو اعتبارها من التراث الذي يتبدل وينتهي

وهو هنا يسير بفهم واحد بالاعتماد على مفردة واحدة دون النظر إلى بقية المفردات التي تشير إلى ضرورة النهضة العلمية والفكرية ،والنتائج التي جاءت فيما بعد تؤكد هذه النهضة [٦]

والجابري يحاول ان يفصل بين فكرة الأنوار والنهضة والحداثة من جهة و فكرة التراث التي استند فيها إلى لفظة قرآنية وحيدة من جهة أخرى ، فالـ (الحداثة) عنده لا تشكل مراحل متعاقبة تمتد إلى التراث الإسلامي القديم بل ان بداياتها تمتد إلى مئة عام [٧].

أما محمد أركون فقد عد القرآن مجرد مدونة وان نظرية الكتاب السماوي او بتعبيره (القرآن ليس إلا رمزا لكليانية كلام الله (ام الكتاب)او اللوح المحفوظ)[٨] ، وهو هنا يحاول ان يخفف من قدسية الكتاب بالإشارة إلى الحقيقة النهائية الموجودة في أم الكتاب أو اللوح المحفوظ .

ويخرج لنا طه عبد الرحمن بفكرة غريبة حول الآيات القرآنية والقراءات الحداثية في كتابه روح الحداثةالصادر عن(المركز الثقافي العربي ٢٠٠٦) ،ومحور هذه الحداثة تتمثل كما يرد عنه [٩] بقوله (تهدف القراءات الحداثية للآيات القرآنية إلى انتقاد هذه الآيات، وقد سلكت في هذا النقد خططا ثلاث، هي: "خطة التأنيس" و"خطة التعقيل" و"خطة التأريخ".

• اختصت خطة التأنيس بنقل الآيات من الوضع الإلهي إلى الوضع البشري، قاصدة إلغاء القدسية عنها، فأدى هذا النقل إلى تقرير المماثلة اللغوية بين القرآن وغيره من النصوص البشرية.

• اختصتْ خطة التعقيل بالتعامل مع الآيات القرآنية بجميع المنهجيات والنظريات الحديثة، قاصدة إلغاء الغيبية منها، فأدى هذا التعامل إلى تقرير المماثلة الدينية بين القرآن وسواه من النصوص الدينية.

• اختصت خطة التأريخ بوَصْل الآيات القرآنية بظروفها وسياقاتها المختلفة، قاصدة إلغاء الحُكمية فيها، فأدَّى هذا الوصل إلى تقرير المماثلة التاريخية بين القرآن وما عداه من النصوص.

• القراءات الحداثية قراءات مقلّدة اقتَبَست كل مُكوِّنات خططها من واقع الحداثة الغربي في صراعه مع الدين.

• ضرورة إيجاد قراءة حداثية للآيات القرآنية تكون قراءة مبدعة بفضل ترشيد التفاعل الديني مع النص القرآني وتجديد الفعل الحداثي.

•امتياز القرآن بمضمونه العقدي يَدْحَض المماثلة اللغوية، وامتيازُه بتوجهه العقلي يدحض المماثلة الدينية، وامتيازُه بوضعه التاريخي يدحض المماثلة التاريخية.

ولكن هذه الفكرة تذكرنا- بفكرة الفيلسوف الألماني يورغن هابرماز في كتابه الشهير «القول الفلسفي للحداثة»، فكلاهما يجرد الحداثة «واقعها» وتجلياتها التاريخية، غير ان طه عبد الرحمن وظف كل التطبيقات الحداثية على الإسلام وهي تطبيقات حداثية منقولة مقلّدة، منسوجة على منوال التاريخ والثقافة الغربية، أي على «واقع الحداثة» لا روحها ،ان قوله «لا دخول للمسلمين إلى الحداثة إلا بحصول قراءة جديدة للقرآن الكريم» كما يقول المؤلف، هذا صحيح إلى حد كبير، ولكن ما قدمه في خطته «للقراءة المبدعة» لا يعتمد إلا على بلاغة لفظة الإبداع ليس إلا .

ثم ان ما يشرحه طه عبد الرحمن حول ما سماه «القراءات الحداثية المقلدة» مفهوم واضح، لكنه عندما يستند الى مفهوم الحداثة نفسه فإنه يقوم بالنقل والتقليد، ومسوغاته في ذلك في مطلع الكتاب لا تقنع، إذ يبقى المصطلح مأخوذاً من مجال تداولي أفرزه «واقع الحداثة» الغربي (على حد اصطلاحه) ولا ينفك عنه[١٠].

إن طه عبد الرحمن يوغل في استخدام المنطق بكل تأكيد ولكن في مجال مجاراة القرآن أجد ان منطقه يخذله ، فليست الحداثة أو التجديد عبارة عن مسخ الثابت وهنا يتجاهل الباحث ان حداثة القرآن ثابتة أي ان التجديد يوجد ضمنا في ذلك

الكتاب المقدس والعيب بكل تأكيد في قراءته وما فعله عبد الرحمن هو عدم فهم أو سوء فهم ذلك التجديد من خلال الافكار التي قام بطرحها .

ولكن الانطباع الذي يتميز به أصحاب هذه الدعوات هو انهم يميلون إلى ان يصبحوا لوثر ماثيوس المسلمين ويحاول البعض ان ينادي ببرتستانت الإسلام من دون الانتباه على اختلاف الموضوع والفكر المسيحي عن الفكر الإسلامي فالقرآن ذو الحتمية القائلة ({إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }(الحجر٩) ،لا يمكن أن يقارن بالكتب السماوية أو نصف السماوية الأخرى .

وفي مجال التفسير يزعم الحداثيون أنّ النص القرآني ليس حكراً على الإسلاميين، وأن بإمكان كل إنسان أن يفسر القرآن، وأن يجتهد في الدين.

ولهم في النظريات الغربية التي افترضت موت المؤلف ، وما يعرف بالنص المفتوح ما يجترئون به على دراسة النص القرآني بمعزل عن القواعد التي مضى عليها علماء التفسير التي تعتمد إلهية النص القرآني.

بشكل عام قد نجد في الفكر العربي من يطالب بإعادة قراءة التراث العربي عموما والقرآني خصوصا وهو يحمل أهدافا غير معلنة ، وهي عموما تحمل نوايا سيئة تتعدى البحث

المجرد والدراسة إلى مهاجمة التراث عامة بما يحويه من موروثات دينية وهم يفعلون ذلك تقليدا للغرب ولكن ليس كل ما يصلح للغرب تجاه موروثاتهم يصلح لنا لأن موروثنا يندرج فيه الكتاب والسنة وآراء الصالحين، ومن ثم فليس من حقنا التعامل معه على إطلاقه كما يتعامل الغرب مع موروثه، فالموروث الغربي لا قدسية له لأنه من صنع البشر والتراث الإسلامي يحتاج إلى تفصيل فما كان مصدره الوحي فله كامل التقديس وما كان من عند غير الله فليست له قدسية ،ولذا فان حداثته نسبية ووقتية .

مفهوم الحداثة المطلقة

في القرآن الكريم

خصائص الحداثة القرآنية المطلقة

أن من المنصف القول ان في الفكر القرآني ثلاثة مفاهيم هي:

١- الحداثة لأنه كتاب تجديدي

٢- وما بعد الحداثة لأنه يشير إلى الغيب والى الاستكشافات المقبلة

٣- وأخيرا فالكتاب المقدس يشير إلى موت الحداثة لأنه يؤكد على نهاية الكون والعالم وبقاء كلماته .

وسوف انطلق في هذا المحور من عدة زوايا أولاهما يجب القول ان القرآن الكريم كتاب لا يموت لان صاحبه لا يموت ، والثاني ان القرآن هو كتاب يتصف بعدة مفاهيم سوف نناقشها منها الشمول والبلاغة والحتمية والبعد المستقبلي والميتافيزيقي والأخلاقي ويتميز بعدم اتصافه بالنسبية ،وذلك يعني ان الإطلاق والكمال هو الأساس الذي يتصف به القرآن الكريم وعدم الوعي بهذا الإطلاق لا يحيله أبدا إلى كتاب جزئي أو نسبي .

ويدل عدم اكتشاف كليته وتمامه على ضعف قابلية الفكر الإنساني ، ومن ذلك مثال الروح التي لم تكتشفها الحداثة أو

العلم الحديث بالرغم من تقدمه الكبير قال تعالى {**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**} الإسراء٨٥ .

ان هذا النص يمكن تسميته بما بعد بعد الحداثة ، فالعلم القليل الذي يتمتع به الإنسان لا يمكن له الوصول إلى معرفة كنه الروح ،واجد هنا ان التجديد والابتكار والتحديث لا معنى له إزاء هذا النص القرآني ،ومن المسائل التي تؤكد ان القرآن كتاب ودستور أساسي للتجديد نأخذ السؤال التالي : (هل النص القرآني نص حداثوي) ؟

والجواب سيكون تأكيد الآتي انه نص حداثوي مطلق سواء في وقت نزوله أم لاستمراره إلى يومنا هذا ، وهو يختصر المسافات الفكرية والعلمية والحياتية من خلال الشعر والنثر مع انه ليس بالشعر أو النثر ،والعلم والفن والإدارة والطب والإلهيات والنظريات والأخلاقيات إلى ما لا نهاية من العلوم .

والحداثة تنطبق بكل تأكيد على القرآن الكريم ، من خلال الإعجاز اللغوي والتعبيري الذي يتبدى في نسق الآيات وترتيبها ، وفي طريقة سرد قصص الأنبياء المكثفة ،أو من خلال الإعجاز الميتافيزيقي أو البحث في نهضة الإنسان وأخلاقياته أو من خلال حركة التصحيح التي ينادي بها لانحرافات البشرية المتكررة .

ان قوله تعالى في كتابه الكريم (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً) الفرقان /٣٣، عبارة عن دلالة واضحة على التقدم المعرفي للقران الكريم على مر الأزمان ، في كل الجوانب التي يعرفها الإنسان ،ولا مجال للقول ان نهضة ما ستسبق القرآن الكريم . فلقد تحدى الله تعالى كل أجيال البشرية منذ البعثة حتى قيام الساعة وليس في زمن النزول حسب على أن يتمكنوا من مواجهة علمية القرآن وبراهينه وحججه [١١].

خصائص الحداثة القرآنية المطلقة

ان القرآن الكريم لا يمكن عده حدثا أو كتابا جزئيا لأنه ثقافة مستمرة ،منهجية ،ثابتة وشاملة ،كما تؤكد النصوص العديدة التي تفترش ذلك الكتاب المقدس ،وجملة من خصائص التجديد والابتكار والتواصل يمكن استعراضها في القرآن على النحو الآتي :

١- إن حداثة القرآن هي حداثة مطلقة مستمرة :

أي ان ذلك الكتاب لا يتعرض إلى الأفكار والحلول الجزئية أو التي يمكن انتقادها على أساس جزئيتها ولا يمكن وصفه بكتاب المرحلة فقط في مختلف الاطاريح التي يطرحها ،بل بكتاب كل المراحل فهي حداثة مستمرة مطلقة

لا يمكن ان تبدل مع تغير الازمان ،لانها مستمدة من الله سبحانه .

قال تعالى {**سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً** } الاحزاب٦٢ وقال سبحانه { **لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** }يونس٦٤ . ويورد القرآن الكريم قوله تعالى { **فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً** } فاطر٤٣.

ومن مجمل الأحاديث يتضح ان منهج الله سبحانه لا يبدل أو يحول وبقوله سبحانه لا تبديل لكلمات الله ،يفهم ان تلك الكلمات القرآنية ثابتة ،ولكن أليس هذا ثباتا وإطلاقا في المنهج من زوايا سير الحياة وطريقة الخالق في تسيير الأشياء ، إننا لا نجد في نصوص (الحداثويون الحاليون) من يؤكد انهم يملكون المنهج النهائي والكلمات التامات التي لا نقص فيها في فرع واحد من فروع العلوم أو المعارف أو غيرها ،لكن القرآن الكريم يؤكد هذه الحقيقة بل ان القرآن يخرس المقدرة العلمية الحداثوية بقوله تعالى {**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ** } الحج٧٣.

و هنا يجب أن نناقش القرآن على انه كتاب يحمل فكرا ثابتا مطلقا ،ومن بعض آيات الإطلاق في القرآن التي تخص صاحب هذا الكتاب المقدس سبحانه بعض المعاني المهمة الاتية:

١- **القدرة** : (**إن الله على كل شيء قدير**)(العنكبوت/٢٠)

٢- **الإحاطة** :(**وكان الله بكل شيء محيطا**)(النساء/١٢٦)

٣- **العلم** :(**واتقو الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم**)(البقرة/٢٣١)

٤- **التقدير**:قال تعالى:(**وخلق كل شيء فقدره تقديرا**)الفرقان/٢٥.

٥- **الحفظ**: قال سبحانه (**وربك على كل شيء حفيظ**)٢١/سبا.

٦- **الإتقان لكل الأشياء**: قال تعالى(**صنع الله الذي أتقن كل شيء**)(٨٨/النمل)

٧- **الرقابة**: قال سبحانه(**وكان ربك على كل شيء رقيبا**)٥٢/الأحزاب)

٨- **الاقتدار**: قال سبحانه(**وكان الله على كل شيء مقتدرا**)(٤٥/الكهف)

٩- **الحساب**: قال تعالى(**إن الله على كل شيء حسيبا**)(٨٦/النساء)

١٠- **والمقادير:** قال سبحانه **(وكل شيء عنده بمقدار)**(٨/الرعد)

١١- **الإحصاء لكل الأشياء:** قال عز من قائل**(وكل شيء أحصيناه في إمام مبين)**(١٢/يس) وقال تعالى**(وأحصى كل شيء عددا)**(٢٨/الجن)

١٢- **الشهادة:** قال تعالى **(إن الله كان على كل شيء شهيدا)**(٣٣/النساء)

١٣- **الإحاطة بكل الأشياء:** قال الله سبحانه**(وكان الله بكل شيء محيطا)**(١٢٦/النساء)

وهذه الآيات تمثل دلالة واضحة على مصاديق منها :

١. التفوق والاقتدار المطلق لكل ما هو موجود في هذا الوجود.

٢. المعرفة والعلم المطلق والإحاطة التامة بكل ما هو موجود في هذا الوجود

٣. الإتقان والتقدير لكل الأشياء

٤. الابتكار المطلق لكل الأشياء .

ومن خلال هذه القوة المطلقة التي تخرج أفعالا مطلقة ، لا مهرب من القول بان كل الحداثات تتمتع بالنسبية البسيطة (باعتبار ان الحداثة هنا هي تغيير وتجديد)وهي ما ينادي بها بين الحين والآخر مجموعة من الأفراد .

ولعل لفظة المحدث ترد بصيغة ما في القرآن الكريم فقد قال تعالى {مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ }الأنبياء٢ وقال سبحانه {وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ }الشعراء٥ .

إن هذه الآيات كما في لفظة (الذكر المحدث) تؤكد دلالة النسبية الزمنية(بالنسبة للأحداث) التي يضيفها القرآن الكريم للإنسان جزء من مرحلته التي يعيشها .

٢- ان القرآن يتصف بالشمولية والموضوعية :

فهو يناقش القضايا - كل القضايا - من جميع الزوايا والمعالجات ويعطي آراءه النهائية من دون النظر للطبقة أو الطائفة أو الجنس ،ومن دون التقييد بالزمان أو المكان أو اعتماد أنصاف الحلول .

ويزعم الحداثيون العرب أن النص القرآني جاء لزمن معين، ومن ثم فإنه ينبغي أن نفسره في ضوء الواقع التاريخي، هكذا يزعمون ولا شك أنهم يقصدون بذلك أن يترك لهم مطلق الحرية لإسقاط آرائهم ووجهات نظرهم على النص، فيكون لهم حرية تأويله بعيداً عن دلالات النصوص القطعيّة والظنيّة كما تقدم من آراء طه عبد الرحمن ،وهو أمر ينم عن شعور بعقدة النقص التي لازمتهم تجاه الحضارة الغربية ومن ثم فلا يجدون ما يمكن ان يطبقوا عليه تجاربهم المستوحاة من الحداثة النسبية

الغربية سوى الالتصاق بالنص القرآني ،والواقع ان مهاجمة القرآن نتيجة العجز عن اكتشاف خباياه ينطوي على اثرين الأول نفسي وهو محاولة لتحريك الآراء حتى وان كانت تمس المقدس والثاني غرائزي يتمثل بمحاولة البروز إلى الساحة الفكرية بطريقة تحمل شيئا من الضوضاء .

٣- صفة التوازن :

فالقرآن نظام عادل ودستور ثابت لم يوضع لأمة معينة لتحميلها بامتيازات خاصة ولم يوفر للرجل الامتيازات على حساب المرأة ولم يرفع قوم على قوم ،كما انه لا يحمل القوي والضعيف بالواجبات نفسها فلا يطلب من المرأة ان تقوم بأفعال الرجال لخصيصة كل منهما وهو يقيس مقدرة الإنسان بناءا على الرحمة والرفق وأيضا على أساس مقدرته الحقيقية في تحمل الواجبات ،وكل هذا من الحداثة القانونية والإنسانية والأخلاقية والفكرية والاجتماعية ،وهو أمر شامل لكل البشر بلا استثناء قال تعالى {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ }النحل٩٠ وقال تعالى { وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى }الانعام١٥٢ .وقال سبحانه { وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى }المائدة٨ .

٤- **إنسانية وعالمية الحداثة القرآنية :**

لأنه كتاب لكل البشر ومنهج لكل الأمم وهو كتاب عصري يناقش القضايا الوقتية ويعالجها فهو هنا مواكب لأزمنة الإنسان ومشاكله وهو يتنوع لتجديد كل فروع المعرفة والثقافة .قال تعالى {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}

البقرة:٢١٣

وقال تعالى في تلك الصيغة الجمعية { أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً }المائدة:٣٢ .وقال سبحانه {كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ}الأنعام١٢ ،وما من شك ان تلك الرحمة لا وجود لها بين المخلوقات جميعا ،وهي أيضا رحمة مستمرة لا تنقطع للحظة واحدة .

والقرآن وقبل كل شيء يركز في مسؤولية الناس جميعا أفرادا وجماعات ، قال تعالى {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ } (الصافات ٢٤) ، وذلك هو الاهتمام الذي يوليه الإسلام لان تصبح الإنسانية حرة ومسؤولة عن تاريخها ويشير هذا الأمر إلى

المكانة العالية لمسالة الحرية التي تفوق ما عداها وهذه بالطبع من أهم سمات الحداثة الأصيلة [١٢].

٥- صاحب كلمات القرآن سبحانه لن يموت :

إن هذه المسالة تذكرنا بكلمات نيتشه القائل بفكرة موت الإله ولكن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي لا يموت صاحبه ،يشير إلى جملة من الأمور التي تعني ان الله ليس كمثله شي وهو حي لا يموت وهذه بعينها هي روح الحداثة المتجددة فالله القديم قبل الأزل هو نفسه الباقي بعد الأزل وذلك يعني ان كتابه المقدس باق ببقائه .

والسبب ان مؤلفه هو الله سبحانه والله لم يمت ولن يموت سبحانه ومن ثم فالله ليس بشرا تنتهي ولايته الفكرية في يوم ما .

٦- الموسوعية والتنوع :

يلاحظ ان إعجاز القرآن تنوّع بتنوّع العصور، فكان منه اللغوي، التشريعي، الغيبي، البلاغي، النفسي، القصصي، والعلمي، وهذا الأخير يُقسّم بدوره على أصناف العلوم المختلفة ومنها العلوم الهندسية والعددية والرياضية والإحصائية التي زخرت بذكرها آيات الكتاب الكريم:قال تعالى :(**واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم**)(البقرة/٢٣١) وقال سبحانه

(وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً) (الجن: من الآية ٢٨) وقال تعالى(لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً) (مريم:٩٤)وقال تعالى في إشارة إلى المعرفة المطلقة {قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً }الكهف١٠٩.

٧- ما بعد الحداثة في البعد المستقبلي الميتافيزيقي القرآني:

إن مفهوم ما بعد – الحداثة ظهر لأول مرة عند المؤرخ البريطاني توين بي (١٩٥٩)، الذي جعل المفهوم يدل على ثلاث إمارات ميزت الفكر والمجتمع الغربيين بعد منتصف هذا القرن، وهي اللاعقلانية والفوضوية والتشويش ،اما في القرآن فكثيرة هي الإشارات التي تدل على البعد المستقبلي ، وهي تحمل من دون شك إشارة إلى (الما بعد القادم) الذي يعلمه الله .

ومع ان اللفظة تحمل بعض الغرابة لان دلالة كلمات الله المطلقة لا يمكن ان تقنن في مفاهيم وقتية أو آنية سواء في لفظة الحداثة السابقة أم في لفظة ما بعد الحداثة إلا ان الكثير من المسائل الإنسانية تحمل فكرة الآنية ومن ثم فان النص القرآني يتحدث عن هذه الآنية التي يعلمها بالتأكيد علم الله الأزلي ،ولا نريد الدخول في مشكلة الفعل الإنساني أو القضاء والقدر بقدر ما أردنا توضيح فكرة ما بعد الحداثة القرآنية ، التي تبينها الآيات العديدة في القرآن قال تعالى (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي

الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)) فصلت:٥٣ .

وهي وغيرها من الآيات تحمل رؤية مستقبلية تنبؤية يزخر بها القرآن الكريم ،البعض منها يتعلق بالعلوم وبالأحداث والوقائع والنظريات وكلها تعبر عما بعدية يؤمن المسلم بحدوثها وكثير منها لم يكتشف بعد لقصور الأدوات المعرفية

.

٨- نهاية الحداثة في القرآن (الحتمية).

لا اعلم ما الذي قادني إلى اختيار هذا المفهوم ولكن القرآن بالتأكيد يحمل تصورا وافيا لنهاية الأشياء ، فليس من المعقول بقاء الحداثة إلى ما لانهاية والمسلم بشكل عام يؤمن بنهاية الأشياء في يوم ما ،لهذا فأن الأهوال التي ذُكرت في القرآن عن يوم الساعة والتي سببها دكة القمر ومنها تفجير البحار وتسجيرها، الزلازل، بس الجبال، جمع الشمس والقمر، انتثار الكواكب، دك الأرض، حمل الأرض، مد الأرض، إلقاء الأرض لما فيها وتخليها، الرجف، الرج، الردف، وغيرها الكثير.

أن يوم الساعة هو اليوم الذي يتم فيه تدمير الأرض والنظام الشمسي، ويوم القيامة هو اليوم الذي يتم فيه الحساب، يتضح أن يوم الساعة يلغي الأشياء والأفكار والآراء والنظريات فلا

نجد من ينظر لحداثة ما قال تعالى {كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا }الفجر٢١.

ومجمل الحديث يشير الى نهاية الفعل الإنساني الذي يمكننا من خلاله إطلاق مفهوم الحداثة على مجمل ما يقدمه الإنسان من تجديد ،لكن هذا الفعل المنتهية ولايته يؤكد توقف نمو الفعل الإنساني ،وبالتالي فلا يبقى معنى حقيقيا للقول بمفاهيم الحداثة او غيرها من الأفكار المعبرة عن التجديد .

ملخص الفصل الثالث

إن القرآن حداثة متجددة لان في كلماته ديناميكية متحركة ،وربما يمكن اعتبار كتب فرويد ودارون والأمير لمكيافلي كتبا حداثوية لأنها قامت بالتغيير في المجتمع،نعم ربما لمدة آنية من الزمن تنتهي بعد حين بطرح نظرية أخرى بديلة ولكن بالمقابل ألا يمكننا عد القرآن من المؤثرات المهمة في المجتمع لأنه يحمل الدلالة الثابتة النهائية لمعرفة الأشياء.

بكل تأكيد لان ذلك يوافق كون القرآن احدث ثورة أخلاقية وفكرية وثقافية وإنسانية وعلمية في المجتمع وما زال .

إن ذلك الكتاب لا يزال يحدث الأثر العلمي والفكري والأخلاقي وهو ما يعني استمراريته بالقياس إلى الكتب التي عدت كتبا حداثوية وانتهى مفعولها بعد مدة من الزمن بتطور الأحداث والعلوم والتجارب والنظريات ،وهذه الوقائع لا تعني مطلقا تأثيرات البيئة واختلاف الشعوب ،بل تعني القيمة التأثيرية التغيرية للشيء في ذاته للمجتمع والحضارة .على هذا النحو يجب القول ان علينا التمييز بين حداثة مطلقة وحداثة نسبية خاصة بالقرآن الكريم .

الهوامش

(١) المعجم الوسيط ،مجمع اللغة العربية ،مكتبة الشروق الدولية ،ط٤ ،١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م ،ص١٦٠.

(٢) انظر قاموس اكسفورد الحديث ،ص ٤٨٢.

(٣) فريد باسيل الشاني ،الحداثة وما بعد الحداثة ، الحوار المتمدن - العدد: ٢١٩٠ - ٢٠٠٨

http://www.ahewar.org/debat/show.art.

(٤) رايموند ويليامز، طرائق الحداثة ضد المتواثمين الجدد ، مراجعة: فارق عبدالقادر ،سلسلة عالم المعرفة ،العدد ٢٤٦،الكويت،١٩٩٩ ،ص٤٩.

(٥) فريد باسيل الشاني،المصدر السابق .

(٦) د.محمد عابد الجابري ،التراث والحداثة –دراسات ومناقشات ،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط١،بيروت ، ١٩٩١ ،ص١٧ وص٣٢ .

(٧) المصدر السابق ،ص١٧.

(٨) محمد اركون ،العلمنة والدين –الإسلام والمسيحية والغرب ، ط٢ ، دار الساقي ،بيروت ،١٩٩٦م،ص٨٦.

(٩) انظر موقع ملتقى الحكمة : nahfab@mountadalhikma.com

(١٠)عبد الرحمن الحاج ،موقع الملتقى ، : info@almultaka.net Email

(١١) خالد العبيدي ،موقع الوقت http://www.alwaqt.com/art.php?aid=84522

(١٢) د.مصطفى الشريف ،الإسلام والحداثة –هل يكون غدا عالم عربي ،ط١ ،دار الشروق ،١٤١٩هـ- ١٩٩٩م ،القاهرة،ص١٢.

المصادر

١. القرآن الكريم

٢. المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ،مكتبة الشروق الدولية ،ط٤ ،١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م .

٣. قاموس أكسفورد الحديث .

٤. فريد باسيل الشاني ،الحداثة وما بعد الحداثة ، الحوار المتمدن - العدد: ٢١٩٠ - ٢٠٠٨ ، http://www.ahewar.org/debat/show.art.

٥. رايموند ويليامز، طرائق الحداثة ضد المتوائمين الجدد ، مراجعة فارق عبد القادر ، سلسلة عالم المعرفة ،العدد ٢٤٦،الكويت،١٩٩٩.

٦. د.محمد عابد الجابري ،التراث والحداثة – دراسات ومناقشات ،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط١ ،بيروت ، ١٩٩١.

٧. محمد أركون ،العلمنة والدين – الإسلام والمسيحية والغرب ، ط٢ ، دار الساقي ،بيروت ،١٩٩٦م .

٨. موقع ملتقى الحكمة ، nahfab@mountadalhikma.com .

٩. عبد الرحمن الحاج ، موقع الملتقى ،info@almultaka.net.

١٠. خالد العبيدي ، موقع الوقت http://www.alwaqt.com/art.php?aid=84522

١١. د.مصطفى الشريف ،الإسلام والحداثة (هل يكون غدا عالم عربي) ، ط١ ، دار الشروق ، القاهرة ،١٤١٩هـ- ١٩٩٩م ،

الفصل الرابع

الأحاسيس في القرآن الكريم

منهج جديد في التناول النفسي والحسي والفكري في القرآن الكريم

الأحاسيس في القرآن الكريم

أجد ان من الضروري- حاليا - تفعيل هذا المنهج، فيما يخص القرآن الكريم ، واعني بذلك مناقشة الشعور والأحاسيس المختلفة في ذلك السفر الخالد ، التي تمثل الحلول المهمة لكثير من أزمات المجتمع الحديث ، أو حتى المجتمع القديم .

ان السلوك الناتج من الأفراد أو الحضارات قديما هو فعل متشابه النتائج ،على هذا يمكن القول ان الدوافع والانفعالات ربما تتشابه أيضا ، هذا بالإضافة إلى تشابه الغرائز أو الأحاسيس المختلفة .

إذن يتوجب على دارسي القرآن التفكير في مشاعر الأنبياء والأولياء وتحليلها وأحاسيس عامة الناس في القرآن ، ويجب تفسير وتوضيح مفهوم الأحاسيس ثم دراسة كيفية قياسها ومن ثم النظر إلى الكم الكبير من القصص القرآني المعني بذكر مفردات تنتمي إلى أحاسيس الإنسان .

وترد جملة ألفاظ في القرآن تتناول لفظ الحس منها قوله تعالى(**فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من انصاري إلى الله**)(آل عمران/٥٢) وقوله تعالى (**فلما أحسوا باسنا إذا هم منها يركضون**)(الانبياء/١٢) وقوله سبحانه(**هل تحس منهم من احد أو تسمع لهم ركزا**)(مريم/٩٨) كما ان لفظة الشعور ترد بشكل

مستفيض في ألفاظ (تشعرون ، أحياء ولكن لا تشعرون ، لو تشعرون ،وما يشعرون ،يشعركم ،يشعرن ،إشعارها)([1]).

وقوله تعالى في القرآن الكريم بأنهم: " لا يشعرون " لدلالته على أن كونهم مفسدين ، وقد وظهر لهم ما يثبت حدوث وقائع عديدة بشكل محسوس ، لكن لا حس لهم ليدركوه ([2]).

ويمكن استيضاح المفاهيم المتعلقة بالإحساس والشعور في القرآن الكريم من خلال :

١- **اللفظ الصريح** ، وهو ما تقدم من ألفاظ الشعور والإحساس وغيره ممن يدل على المعنى الحسي ،و صورته في القرآن تمثلت بمخاطبة القرآن للناس حول الشهداء بأنهم أحياء ولكن لا تشعرون بحياتهم ، وتحذير النملة من ان يحطم سليمان وجنوده قومها وهم لا يشعرون ، أو أخت موسى حين قصت أخاها فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون ....الخ من الألفاظ المضافة إلى لفظ الإحساس السالف الذكر وهي متداخلة مع الإدراك .

٢- **من خلال الموقف** ، وهي مواقف عديدة ربما يمكن التطرق إليها أثناء البحث ، بتناول اللفظة المدرجة ضمن مفهوم

---

1 - انظر محمد فؤاد عبد الباقي،المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ،طبعة ذوي القربى ،ط٣،قم، ١٣٨٤هـ،ص ٤٨٧.

2 - الميرزا محمد المشهدي ،تفسير كنز الدقائق ،ط١،جماعة المدرسين ،قم ،١٤٠٧ق، ج ١/ ص ١٣١.

المشاعر الإنسانية كما في الحسد والحقد والحب والكره والشفقة والخوف والحسرة والألم والرعب واللذة والغضب والتكبر والدهشة والخجل والضعف ...الخ من الألفاظ التي تشكل مادة الأحاسيس في كتاب الله ، وهذه الألفاظ قد تتداخل ،أي ان البعض منها ربما لم يدرج ضمن الأحاسيس إلا انه يعطي معنى لها أو ان له نتيجته ما هي إلا إحساس .

وكم هو جميل استشعار أحاسيس مريم في لحظة مجيئها لقومها ومعها الطفل المعجزة،أو إحساس نوح وهو يحاور ابنه وبالمقابل متابعة قوة إحساس ابنه السلبية التي تسير باتجاه خاطئ ،وإحساس يوسف في البئر والسجن وإحساس أبيه بالفراق وغير ذلك ،وغير ذلك من الأفكار التي تتبنى استشعار النفوس العالية القيمة والقوة من نفوس الصالحين ،والفائدة المطلوبة من هذه العملية ، انها سوف تحيلنا إلى تعايش حقيقي و تماس واقعي مع تلك الشخصيات الثابتة ، فيتحول الفهم الذي في أذهاننا أو الصور التي جمعناها عنهم إلى نوع من التصديق بعد ان كانت محض تصور في الأذهان لا يستمر إلى فترة طويلة ، فنكتشف عندها عوالم جديدة ونطور معلومة بإضافتها إلى أخرى ، ونقوم بحل طلاسم تاريخية مهمة تساعدنا في بناء المعرفة في شتى المجالات .

أما أهم سمات وخصائص هذا المنهج الجديد فهي:

١- تناول الإحساسات في القرآن هي دعوة إلى المجتمع بضرورة التراحم وموازنة الجانب العاطفي مع العقلي .

٢- هي محاولة لإضفاء موضوع جديد إلى المكتبة القرآنية.

٣- في هذا المنهج دعوة إلى استشعار المشاعر الإنسانية العليا غير التقليدية للأنبياء والأولياء والصالحين عن بعد فنحن بحاجة لمعرفة واستشعار إحساس موسى (عليه السلام) حين تبعه فرعون ونحن أيضا بحاجة لمعرفة إحساس فرعون حينما فتح البحر وجاء الهلاك ، وهذان الاحساسان مختلفان كما ونوعا وهما (كل لوحده) مرتبطان بتراث تربوي و إيمان بالمبادئ ،وبشكل عام فان كل ما تعلق بإحساس فرد ما ذكره القرآن هو موضوع الدراسة التي تهتم بالأحاسيس في القرآن الكريم ،التي تحاول استبطان البنية العاطفية سواء للأنبياء أم للأفراد ويقابلها معرفة أحاسيس أهل النار وغيرهم .

٤- يشمل ذلك أيضا مشاعر الفئات المختلفة من البشر وذلك يعني بعدا وفهما استشعاريا يرتبط بفلسفة التاريخ ،بل ان هذه الأدوات – اقصد ما يخص منهج استشعار المسائل التاريخية سوف تحل لنا الكثير من الإشكاليات التي وفدت إلينا عبر التاريخ ولم نجد لها حلولا .

٥- استشعار وفهم المستقبل الإنساني ومصيره المحتوم في القرآن الكريم والاستعداد له والعمل على تجنب السيناريو الأسوأ بالنسبة إلى الأفراد المرتبطين بالغيب والمعاد والمؤمنين به (١) .

٦- ان في ذلك تنمية للجانب الأخلاقي بمدح الإحساسات الحسنة وذم السيئة منها ،وهذا يشكل بحثا أخلاقيا للاتعاظ من سوء تفكير وعمل الأمم السابقة و لتلافي انهزامات المجتمعات الإنسانية القديمة ، فقد قال تعالى (**فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات**)(٥٩/ مريم) .

٧- أيضا هذا الموضوع هو مدخل لمناقشة الحالات والإمراض والمفاهيم النفسية في القرآن الكريم ،التي يجب ان تدرس بجدية حقيقية على ان تبتعد عن التأثير العام للنظريات النفسية الحديثة والذوبان الكلي فيها كما ان على دارسي الفكر النفسي القرآني الاستعانة بعلم النفس الحديث لقراءة أهم الأمراض النفسية التي غلبت الأمم القديمة أو أدت إلى الحروب والمجاعات ،أو دراسة طبيعة المجتمعات الإنسانية التي أنجبت الطواغيت منها والتي نزل عليها البلاء الإلهي بفعل الأعمال السايكوسسيولوجية الخاطئة والتي أشارت إلى موت تلك الأمم واضمحلالها لتكون عبرة لما يأتي من الأمم بعدها ، وإلقاء نظرة على القرآن الكريم

---

1 - حول هذا الموضوع انظر الفصل الخاص بالفكر المستقبلي في القرآن الكريم

بهذا الصدد سوف يحيلنا إلى كم كبير من النصوص القرآنية المقدسة التي توضح وتحذر الفعل السيئ للأمم الغابرة .

٨- فيه موعظة من تجنب الإخفاقات الحسية الإنسانية السابقة وعدم تكرارها ، بل والإخفاقات العقلية لارتباط العقل بالحس .

٩- يمكن لهذا المنهج اكتشاف سلوك الأمم الماضية ودوافعها ومعرفة الدوافع التي أسست لفعل ما حدث في الماضي وأورده القرآن الكريم أو التاريخ كما في سلوك أقوام لوط ،وذو النون والنبي الأكرم (ﷺ) وغيرهم من الأنبياء .

١٠- تحليل السلوك الفردي للطواغيت ، المعبر عن مشاعر قاتمة وسلبية تبتعد كثيرا عن السلوك السوي المتعارف عليه وهم عنوانات شتى ، ارتبط البعض منهم بمحاربة الأنبياء وتمثلوا بالنمرود وفرعون ومجتمع نوح(عليه السلام) وقتلة عيسى (عليه السلام) ويحيى (عليه السلام) ومطاردي أصحاب الكهف ومحاربي داوود (عليه السلام)و ذو النون(عليه السلام) وغير ذلك من الأمثلة .

أنماط المشاعر الإنسانية و الأحاسيس

تمثل قائمة المشاعر الإنسانية صورة أساسية لسلوك وفعل الإنسان وهي تاريخه الإنساني من دون شك و طبقا لكتاب

(Two of Aristotle's Rhetoric) فان هذه المشاعر تتنوع على الشكل الاتي :

الغضب.....وعكسه..... الهدوء

الحب .....وعكسه .....الكراهية

الخوف..... وعكسه..... الشجاعة

الخجل .....وعكسه..... الجرأة

العطف .....وعكسه .....القسوة

بالإضافة إلى الشفقة ، السخط و الحسد

أما طبقا لنظرية روبرت بلوتشيك فهي

(الخوف - الغضب – الحزن – السعادة –الاشمئزاز – القبول – التوقع – المفاجأة)

تداخل المفاهيم

يجب التفريق بين مفاهيم الانفعال والدوافع والمشاعر والأحاسيس والانفعال ، فالدافع اصطلاح عام شامل منه الحافز ،الباعث،الرغبة ،الميل،الحاجة،النزعة،العاطفة ،الغرض القصد ،النية ،الغاية ،الإرادة ،وقد يكون الدافع حالة جسمية كالجوع والعطش أو الشعور بالواجب أو حالة مؤقتة أو فطرية والدافع قوة محركة فهو يثير السلوك نحو هدف وغاية ويسمى وجه الدافع

الداخلي بالحافز الذي هو ضيق وألم وتوتر يولد نزوعا إلى النشاط ([1]).

وتتوزع هذه المفاهيم في القرآن الكريم ،ففي حين لا يمكننا ان نصف الأنبياء بالدافعية أو القصد أو العاطفة العشوائية وأيضا لا يمكن وصفهم بحسب ما عرفناه من أعمالهم بالميل أو الانفعال وغير ذلك فإننا يمكننا استعراض الكثير من الأمثلة لأفراد في القرآن الكريم من الطواغيت وغيرهم وأهل النار والأمم المغضوب عليها ،وهم ممن تنطبق عليهم الألفاظ السابقة الذكر ،ومنها الانفعال ، فالانفعال بمعناه الضيق هو حالة القلق أو الأزمة العابرة و هو حالة وجدانية قوية طارئة مفاجئة وبهذا يكون الرعب والهلع من الانفعالات دون الإشفاق والحزن انفعالا بعكس الابتئاس أو القنوط وتكون الشهوة انفعالا بعكس الحب ،ويكثر الخلط بين الانفعال والعاطفة فالعاطفة تنظيم وجداني ثابت نسبيا ومركب من عدة استعدادات انفعالية تدور حول موضوع معين قد يكون شيئا أو شخصا أو جماعة أو فكرة كعاطفة الأم أو احترام شخص لآخر أو حب الوطن ، أما الانفعال فهو حالة طارئة ، وللعاطفة موضوع تدور حوله في حين ان الانفعال

---

1 - د.احمد عزت راجح،اصول علم النفس،ط١٩٦٨،٧،القاهرة ، ص١٦

مطلق غير مقيد بموضوع وأنواع الانفعال ذاتي وشعوري أو خارجي بالتعبير والحركات و فسيولوجي خفي كضربات القلب ([1]) .

توضيح المفاهيم

للخروج بصورة واضحة المعالم حول مفاهيم الإحساس والشعور الإنساني علينا توضيح مجموعة من المصطلحات أو الأفكار التي تعتبر دعامة فكرة البحث ،ومن خلالها يمكننا تفسير وظيفة المصطلح الحسي أو الدال على الحس والشعور في تركيبة الفكر القرآني ، ومن الملاحظات المهمة في هذا الصدد :

١- **الأحاسيس والعواطف الإنسانية على قسمين**

- **مادية عامة مثل الجنس ،الجوع ،العطش وهي أشبه بالغرائز ترتبط بالبايلوجيا الإنسانية**

- أحاسيس تتسم بالفعالية والديناميكية وهي مبينة أعلاه وتمثل أنماط المشاعر الإنسانية وهي عبارة عن سلوك الإنسان العام ، ومع ان البعض منها غرائز ثابتة إلا انها فعالة وحيوية ما دامت مرتبطة بالعقل والتعقل ، فيصار هنا إلى تبويبها وتنظيمها لكي لا تخرج عن حدها ،ومعنى هذا انها جزء من السلوك الإنساني ومن علم الأخلاق بمفهومه العام ،وتوصف بأنها ترتبط بإرادة الإنسان فهي ليست حتمية ،ويستطيع الإنسان من خلالها

---

1 - د.احمد عزت راجح،أصول علم النفس، ص١٢٧ .

تحديد مصيره ، وقد أعطاها الخالق للإنسان ليجعله إنسانا يختلف عن غيره من الكائنات.

٢- محرك السلوك الإنساني

ورد عن الإمام علي (عليه السلام) (إن الله ركب في الملائكة عقلا بلا شهوة وركب في البهائم شهوة بلا عقل وركب في بني آدم كليهما فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة و من غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم) [١].

والنص لا يحدد محركا للسلوك الإنساني فحسب بل وسلوك الملائكة والحيوان ،والمبدأ المذكور يحمل (طابعا ثنائيا) لمفهوم الغريزة يتمثل في طرفين يتجاذبان الإنسان في بحثه عن اللذة وتجنب الألم وهما (الشهوة والعقل) او (الذات والموضوع) أو(الخير والشر) أو (الأمر والنهي الشرعي) ، والإنسان يرث هذا التركيب الثنائي فطريا (من حيث البعد النفسي) يواكبه ميراث فطري (من حيث البعد الإدراكي) هو الوعي بمبادئ الشهوة والعقل فقد قال تعالى (**ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها**)(الشمس- ٧/٩١)[٢].

---

١ - - الصدوق ،علل الشرائع، النجف ،١٩٦٦م، ٤/١ ،أيضا المجلسي(محمد باقر/ت١١١١هـ)، بحار الأنوار ،مؤسسة الوفاء،١١٠ جزء ،بيروت ،١٩٨٣م ،٢٩٩/٥٧ .

٢ - د. محمود البستاني،دراسات في علم النفس الإسلامي ،٢مجلد، ط١، دار البلاغ،بيروت،١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، ١٤/١- ١٥ .

وهذا يعني ان الإنسان حينما ركب (الله) فيه الاستعداد لممارسة الخير والشر (العقل والشهوة) فقد ركب فيه (إدراك) لكل من الخير والشر حتى تصبح ممارسة السلوك خاضعة لعملية اختيار لا إجبار مما يترتب على ذلك تحمل مسؤولية السلوك الذي يمارسه [1].

٣- **إن الأحاسيس ترتبط بوسائل الإدراك :**

ومنها الحواس الخمسة التي تقوم مع العقل بإكمال المعرفة الإنسانية ،وبهذا الصدد يقول الإمام علي(عليه السلام) واصفا الخالق(لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس)[2] وهو الرادع أناسي الأبصار عن ان تناله او تدركه [3] ، فالحواس هنا جزء من عملية الإدراك لقوله(عليه السلام)(لا يدرك) بالحواس ، والمحسوس هو المدرك من قبل الحواس لقوله- عليه السلام- لا تدركه الحواس فتحسه[4].

---

١ - د.محمود البستاني،علم النفس في ضوء المنهج الإسلامي،ط١،قم،١٣٨٢هـ ،ص١٨ .

٢ - (احمد ابن علي الطبرسي /ت٥٦٠هـ)،الاحتجاج،تحقيق السيد محمد باقر الخرسان،دار النعمان،النجف ،١٣٨٦ هـ- ١٩٦٦م ،٣٠٢/١ ، وانظر الإمام علي ،نهج البلاغة ،شرح محمد عبده ،دار المعرفة،٤ أجزاء،بيروت ، ٢ /١١٥.

٣ - الإمام علي ،نهج البلاغة ،شرح محمد عبده ،١٦١/١ ،وانـاسي هو جمع إنسان وهو ما يرى وسط حدقة العين.

٤ - الإمام علي ،نهج البلاغة ،شرح محمد عبده ،١٢٢/٢.

ان الله سبحانه ليس موضوعا او محسوسا لكي نسلط عليه أدواتنا التي منها الحس لنتعرف عليه ، وهو ما يتبين بأقوال الإمام أيضا و التي منها ان الله لا تستلمه المشاعر (أي لا تدركه الحواس) وسميت الحواس مشاعر لأنها آلات للشعور بالأشياء[1] وهذا يعني ان الأشياء تدرك بالحواس وتستلمها المشاعر(سوى الله) الذي تتلقاه الأذهان لا بمشاعره (ليس عن طريق الحواس)[2] ، فالشواهد او المدركات يتم استلامها عن طريق الحواس ، وبحسب قول الإمام ((إذ لا يتيسر للناظر الإدراك (إلا) من عشرة أوجه من الحواس الخمسة وإدراكها من (سمع ومسموع) و (بصر ومبصر) و (شم ومشموم) و (ذوق ومذوق) و (ولمس وملموس) وكل ذلك مما تدل عليه العقول والأوهام ، أجسام مؤلفة وأعراض عاجزة))[3]، فإننا من كل ذلك نفهم ان للحس دور في عملية المعرفة .

ولكن ما علاقة الحواس بالعاطفة والأحاسيس ؟

ان هذه الحواس من العوامل المساعدة للمشاعر الإنسانية ، بل هي من أدواتها الوهل يوجد الم من دون الأذى الذي يصيب

---

١ - (علي ابن ناصر السرخسي / ق٦)أعلام نهج البلاغة ،ط١ ،طهران،١٤١٥ هـ ، ص١٤٣.

٢ - الإمام علي ،نهج البلاغة ،شرح محمد عبده ،٢/١١٥.

٣ - محمد باقر المحمودي،نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة،٨مجلد ،ط٨، النجف،١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م ،٢/١٨.

الأعضاء الحسية ،وما الحب والخوف والكره والسعادة والحزن وغيرها إلا أفعالا إنسانية تعبر عن المشاعر والأحاسيس وترتبط باللذة والألم ويدخل في تركيبها الحواس ، وهي التي تميز الإنسان عن غيره وتجعله إنسانا لا حيوانا ، فهي ليست عقلا ، بل ترتبط بالعقل الذي يقننها ويهذبها وربما وصفنا بعضها بالغرائز ،وذلك يعني حسيتها ، وفي نص الإمام علي(عليه السلام) المعنى النهائي لتلك المعادلة فالله تعالى :

أ- ركب فيه :عقلا وشهوة (أحاسيس ومشاعر)= يعني بأنه إنسان .

ب ركب فيه : عقلا فقط (من دون مشاعر وأحاسيس)=ملائكة.

ج ركب فيه شهوة فقط (من دون عقل)=(إحساس لا مشاعر).

وفي القرآن الكريم سوف نأخذ مثلا لهذه القضية ، قضية الحس والإدراك وارتباطهما كما في قوله تعالى **(فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله)**(آل عمران / ٥٢).

ويفسر الشيخ الطوسي مفهوم (أحس) أي وجده من جهة الحاسة ، وحسه يحسه : إذا قتله ، لأنه أبطل حسه بالقتل ،

والتحسس طلب الإخبار ، وفي التنزيل : " يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه " وذلك لأنه طلب لهما بحاسة السمع .([1]).

والإحساس هو الوجود بالحاسة ، أحس يحس إحساسا . والحس القتل ، لأنه يحس بألمه ، ومنه قوله : " إذ تحسونهم " بإذنه " والحس : العطف ، لإحساس الرقة على صاحبه . والأصل فيه إدراك الشيء من جهة ([2]) ، ففي قول يعقوب (إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون) اخبر الله تعالى في هذه الآية انه حين انصرفت العير من عند يوسف . قال : لهم أبوهم يعقوب إني لأجد ريح يوسف أي إني أحس برائحته ([3]).

٤- الجانب الحسي في النفس الإنسانية .

يصنف الإمام علي النفس الإنسانية على أربعة أقسام منها النفس النامية النباتية والحسية الحيوانية ثم القدسية والكلية الإلهية ،وما يهمنا هو الحسية الحيوانية وخصائصها ان لها خمس قوى هي سمع وبصر وشم وذوق ولمس ولها خاصيتان هما الشهوة والغضب وانبعاثها من القلب وهي أشبه الأشياء بنفس السباع ،

---

1 - الشيخ الطوسي ،تفسير التبيان،تحقيق وتصحيح احمد حبيب قصير، ط١٤٠٩،١ ، ج ٢ - ص ١٨ وانظر علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي ،تصحيح وتعليق ،طيب الجزائري،ط٣،قم،١٤٠٤ ، ج ١ - ص ١٠٣.

2 - الشيخ الطوسي ،التبيان ، ج ٢ - ص ٤٧٢.

3 - التبيان - الشيخ الطوسي - ج ٦ - ص ١٩٢.

وبدأ إيجادها عند الولادة الجسمانية وفعلها الحياة والحركة والظلم والغلبة واكتساب الأموال والشهوات الدنيوية (١) .

ومن النص يفهم ان الجزء الحسي الإنساني في النفس الإنسانية له خمسة قوى هي الحواس الخمس ، والخاصيتان الرئيسيتان هما الشهوة والغضب وانبعاثها من القلب ليكون القلب على هذا الأساس هو المرجع لكثير من أفعالنا الحسية وأهمها المتعلق بقائمة المشاعر الإنسانية .

٥- ترتبط الأحاسيس والمشاعر بالسلوك الإنساني:

فالغضب له سبب ودافع ، والإحساس بالغضب يعني وجود المؤثر وهكذا الإحساس بالحب والحقد والحسد وغير ذلك ، وكل ذلك يرتبط بالتعقل أيضا لوجود موضوع محدد (للكره ، للغضب أو مادة للحقد) ، ومن الصحيح القول بتدخل عوامل البيئة (الخارجية) قال تعالى (**فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات)** (٥٩/مريم) وهو تأثير جمعي بيئي على امة معينة أدت إلى غلبة الشعور على العقل أو الوراثة والى شعور بالنشوة واللذة وإحساس غير مقيد بالعقل .

---

١ - القاضي سعيد القمي /ولد١٠٤٩هـ) التعليقة على الفوائد الرضوية،قم،١٤١٥ق- ١٣٧٤هـ.ش .،ص ١١١.

بالإضافة إلى القول بان الأحاسيس ترتبط بوسائل الإدراك ،فان هذه الأحاسيس تعتبر بايلوجية أي انها ترتبط بالدواخل الإنسانية غالبا او الغرائز،أما المشاعر فهي سيكولوجية ،تمتد إلى مساحة اكبر في السلوك الإنساني وأكثر تقدما وفعالية ،ومع هذا فإننا نصف جملة الأحاسيس والمشاعر الإنسانية بأنها منظومة فعل الإنسان التي يستطيع من خلالها تشغيل الجوانب الحسية فيه من الغرائز والصفات الإنسانية وقائمة المشاعر في جوانب فعله وسلوكه الذي سيصنف على أساس أخلاقي أو نفسي أو جمالي أو طبيعي .

وهذه المنظومة هي من خطت له مصيره في كثير من الأحيان بداية من حسد قابيل لأخيه هابيل مرورا بالإحساس بالتكبر لابن نوح(عليه السلام) وتكبر الطواغيت على مر العصور وغير ذلك من سيطرة جانب العواطف او الشهوات على الإنسان بنحو متطرف لا يمت إلى العقل بصلة ، في حين أن العملية فرض لها أن تكون متوازنة ومعتدلة .

أنموذج لخارطة الأحاسيس في القرآن

من الممكن الاستعانة بخريطة أولية تمثل جدولا لاستعراض واستبانة الأحاسيس في القرآن وما يلحقها ويتناول الجدول أمثلة بسيطة لبعض المشاعر والأحاسيس الإنسانية لغرض توضيح هذا الجانب :

أ	نوع الإحساس	الإحساس المضاد	شدة ونوع الإحساس (ضعيف/ متوسط/ كبير)	ارتباطه بالعقل (متطرف/ منطقي)	مثاله الموجب في القرآن (شخصية صالحة)	مثاله السالب في القرآن/ (شخصية سيئة)	دافع الإحساس او النية	نتيجة الإحساس
١	الغضب	السكينة – كتم الغيض	كبير	منطقي وملتزم لان الخالق غضب عليهم ايضا	موسى(ع)	لا يوجد لفظ إنما الفاظ الغضب ضد	شذات بني إسرائيل	تكسير الألواح
			كبير	السكون طبيعي بعد معاتبة أخيه	فلما سكت عن موسى الغضب		سمع تفسيرا من أخيه هارون او دوافع اخرى	
			كبير		ذو النون		عدم طاعة قومه له	ذهب مغاضبا وابتلعه الحوت

ـه	الحب	الكراهية- الحقد	نسبي في بدايته	منطرف في بدايته وغير منطقي	زليخة حب		استعباد يوسف	حب صادق ودائم
ـه	الخوف - الجبن - الخشية	الشجاعة	نسبي لخوفه على رسالته و لخوفه الكبير من الله	منطقي	موسى(ع) خرج خائفا أعدائه مع هذا فإن من أجل / المسئول بالشجاعة	يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت/	الخوف على رسالته	النجاء ببني اسرائيل
ـه	الخجل	النزق	كبير	منطقي	سريجا(ع)		الإتيان بطفل من دون زواج	تمنت الموت
٥	الشقاوة - اللطف	القسوة						
ـه	الألم	اللذة				الأم أهل النار فقالوا يا مالك فطنا	عذاب شديد	تمنوا الموت

٧	الحزن - القلق	السعادة	كبير	منطقي لفقدانه وريث النبوة		يحزن يعقوب		فقدان ابنه	ابيضت عيناه
٨	الدهشة المفاجأة/	اليقين		إعجازي		إبراهيم(ع) زوجة		ولادة طفل بعد كبر	ضحكت اندهشت
٩	السخط	الرضا							
١٠	الحسد	الغبطة	كبير أدى إلى القتل	غرائزي			إخوة يوسف	إبثار أبيه له من دونهم وهم كثيرون	محاولة القتل
			كبير أدى إلى القتل	غرائزي	هابيل		قابيل	تقبل الله قربانه	قتل أخاه
١١	التكبر	التواضع	كبير	غرائزي			النمرود فرعون هامان كل الطواغيت في التاريخ	المساس بمصالحهم/ بسلطانهم/ لن يلج نفوسهم	أهلكهم الله

ح١	الرعب - الخوف	الطمأنينة- السلام	كبير	صورة غير منطقية/لم نعتد عليها	فرار(١) الولي منهم	الكهف السحاب	إرعاب الكفار/ ترعبون به عدو الله وعدوكم	منظر مرعب/ تصور غير معهود	الهرب
							أهل النار	عذاب شديد	الم
ح٢	الندم								

ملاحظات

١- قليلة هي ألفاظ الحسد في القرآن ، فهي لا تتعدى الخمس ألفاظ منها / من شر حاسد (الفلق/٥) / فسيقولون بل تحسدوننا (الفتح /١٥) / أم يحسدون الناس على ما آتاهم_(النساء/٥٤) / حسدا (البقرة/١٠٩) / حاسد (الفلق/٥) ،وهي تمثل الإحساس الداخلي للإنسان الذي يشعر فيه برغبة للاستحواذ على ما للآخرين .

٢- توجد ألفاظ عديدة ومتنوعة للغضب في القرآن (١) ،وهي بعامتها تخص الغضب الإلهي على الكافرين والظالمين والمنافقين والذي لا علاقة له بالغضب الإنساني .

٣- تختلف أحاسيس الأنبياء والأولياء عن أحاسيس الناس ،وهم بشر مثل بقية الناس في المشاعر والأحاسيس الجميلة إلا انها أحاسيس منضبطة مقيدة ،لا تعمل بالإفراط والتفريط ،وتعد قمة المشاعر الإنسانية الملتزمة ،ومن هذه

---

١ - انظر محمد فؤاد عبد الباقي،المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ،ص٦٣٢.

المشاعر ما نلمسه في شفقة ومحبة يعقوب النبي ويوسف(عليهما السلام)وقصة نوح (عليه السلام) مع ابنه ومحبة وأخلاق والآم المسيح(عليه السلام)وصبر أيوب(عليه السلام)على الالم وسكينة وحلم إبراهيم (عليه السلام) ورحمة رسول الله محمد (صلى الله عليه واله وسلم)وغير ذلك من صفات الأنبياء والصالحين التي ذكرها القرآن الكريم .

٤- ان قيمة وحجم أحاسيس الأنبياء هي دائما قيمة كبيرة ولها اتصال مهم بالتعقل والعقل ،فهي مقيدة غير مفرطة لهذا لا يصح وصفها بالدافعية غير المرتبطة بالله سبحانه .

٥- النتيجة المحصلة مما بعد أحاسيس الأنبياء والأولياء هي نتيجة واقعية وعاقلة ومنضبطة ، فالمشاعر موجودة وهي ليست مشاعر آلية باردة لا جدوى منها ،وهي ليست صورة شكلية لكي يعلموا البشر مفاهيم المحبة و السكينة والإحساس بقيمة الأشياء ،بل إن الأنبياء بشر لديهم الغرائز والعواطف المختلفة ،لكنها لا تسيطر عليهم .

٦- من الموضوعات المهمة ان أحاسيس الأنبياء وعقولهم تواكب وتستشعر المستقبل ،لان اغلب الرسالات استمرت لمدة طويلة ويقوم الأنبياء بجهد كبير لمواكبة القادم من السنوات .

من موضوعات الإحساس في القرآن

١- ان من المسلمات التي يجب إيرادها هنا ان الخوف من الله والمحبة لله هي من أهم ما يتصف به الأنبياء والأولياء والصالحون ،وهما من الأحاسيس العالية القيمة التي تتجاوز الحس الإنساني لتتسم بالمفهوم العقلي .

٢- يتعامل الأنبياء والأوصياء بأدوات المشاعر الإنسانية – العالية القيمة –مع بقية الناس التي منها الغضب والشفقة والرحمة والحياء والحزن والحب والعطف ، وهم سلام الله عليهم لا يتعاملون بالحقد والحسد والكره والشك وغير ذلك من الألفاظ التي تقترب من الواقع الإنساني .

٣- ذكرت قصة نوح (عليه السلام) في ست آيات في القرآن الكريم ومن مميزات القصة هو إحساس قومه بالكبر والاستعلاء واتخاذ بعضهم أربابا لبعض ،وهو إحساس يؤدي إلى استذلال العباد واستعباد الناس وتحكم القوي في الضعيف وهذا ما استمر على مر التاريخ حتى يومنا هذا .

٤- قال تعالى على لسان نوح(عليه السلام) يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ،والخوف هنا إحساس متعقل بحجم المصيبة التي يرتكبها قوم نوح(عليه السلام) ، وبالمقابل فان رد القوم كان شعورا

بالاستعلاء فكان ردهم (ما نراك إلا بشر مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي) ،ولك ان ترى حجم الحسية التي ينظر بها القوم فهم لا ينظرون بعقل بل بحس، محض كما في قولهم (ما نراك) وهم لا ينظرون إلى قدرة بل إلى بشر طبيعي ،والشعور بالكبر والنظر بدونية إلى الغير تمثل بنظرتهم إلى الآخرين على أنهم أراذل لا غير .

٥- ان وحي رب العالمين إلى نوح بان قومه لن يؤمنوا والأمر الصادر بصنع الفلك ، يشير إلى معرفة نوح(عليه السلام)بالمستقبل القادم واستشعاره للمرحلة الجديدة .

٦- من المهم معرفة إحساس القوم عندما فار التنور ومسير السفينة في اللجج الغامرة ،بل في موج من كالجبال .

٧- علينا بحث إحساس ابن نوح في تلك اللحظة وإحساس الأب الحنون المسؤول عن مصير ابنه ومصير الإنسانية ، سيما عند قوله (عليه السلام) ان ابني من أهلي وسؤاله لرب العالمين .

٨- قوله تعالى في سفينة نوح (عليه السلام)(ولقد تركناها آية فهل من مدكر) تمثل دعوة لحث الشعور على وجود هذه السفينة في الوقت الحالي.

٩- في استشعار قصة هاجر زوج إبراهيم(عليه السلام)وابنها إسماعيل وتركهما في واد غير ذي زرع عبرة ورحمة ، كما ان

حزمة من المشاعر تلوح لنا في مسالة ذبح إسماعيل (عليه السلام) وهي تتعلق بمشاعر الأب والام والابن .

١٠- ان من المشاعر النقية أيضا ما تمثل بحزن أم موسى حين رمي في النهر وقلق أخته التي راحت تراقب أين يذهب ومشاعره الثابتة الصدق نحو الحق والعدل لا الظلم وهو في بيت فرعون وتحكيمه العقل حين حارب فرعون بإظهار العقل ،هذه مجموعة مشاعر تختلف عن إحساسات المرحلة اللاحقة ومنها الخوف على رسالته عندما خرج خائفا يترقب أو عندما حضر مجلس فرعون ليريهم معاجزه أو يدعوه إلى عبادة الرب الواحد ،أو خوفه عندما صعق لرؤيته الجبل يندك أو حزنه عندما شاهد انحراف بني إسرائيل وعبادة العجل أو إحساسه وهو يكلم الله من وراء حجاب .

١١- ومن ذلك الأم المسيح عيسى(عليه السلام) وعاطفته تجاه الناس وحزنه الدائم ،بالإضافة إلى مشاعر الرسول محمد(صلى الله عليه وآله) وعاطفته تجاه أهل بيته وأمته .

هذه بعض ملامح وغاية هذا المنهج، وليس تحديدا مقصودا ان تكون قصة الصديق يوسف(عليه السلام) أول ما يمكن تناوله في هذا الصدد، فنحن نجد أحاسيس أخرى عالية المضمون في قصة أولاد ادم ونوح وإبراهيم وفي قصص موسى وأمه وعيسى وأمه عليهم وعلى نبينا صلوات الله ورحمته وبركاته.

وعلى أي حال فان قصة الصديق في القرآن تزخر بالتعابير الحسية المؤلمة والمفرحة والحاسدة والكائدة وغير ذلك وهي أيضا مشكلة الابن التي تتنوع في سيرة حياة ادم ونوح وإبراهيم وأم موسى وعيسى (عليهم السلام) ومن الأسئلة التي تبرز في قصة يوسف(عليه السلام) والتي تدل على مؤشر تفاعل الإحساسات الآتي.

١- كان يوسف جميل الصورة أثيرا على أبيه لذا خص بقسط عظيم من محبته مما سبب حقد إخوته عليه وغيرتهم منه.

تعقيب: السبب في إحساس أبيه ليس العاطفة الاعتيادية فيوسف(عليه السلام) طفل صغير وضعيف وقد فقد أمه وهو يتمتع بالبراءة والجمال كما انه وارث النبوة وكمية المعطيات والهبات الالهية التي وهبت له لكونه وارث النبوة بدلالة الرؤية العظيمة تلك التي البت عليه إخوته ، والصورة العامة الخاصة بيوسف هنا تخص العقل بالإضافة إلى الإحساس المبني على العطف والمحبة

الإلهية، ويقابل كل ذلك تحمس عال بالحقد والغيرة من إخوة يوسف، وردة الفعل هذه شابهت ردة فعل قابيل تجاه أخيه.

وربما يقال بان الحسد والحقد عبارة عن غرائز قد لا تنتمي إلى الأحاسيس وهذا غير صحيح لان الفرد يحقد ويكره ويشعر بالغيرة ويتكبر من دون تحكيم العقل معتمدا في ذلك على هذه الغرائز التي تنتمي إلى الحس(الداخلي) وتفلت من سيطرة العقل.

٢- إحساس الغم والحزن والشفقة الذي الم بيعقوب(عليه السلام) اثر رؤية يوسف الخاصة بالكواكب ومعرفة البلاء المحدق بهذه الرؤية، لهذا منعه من سردها ومع هذا فقد انتشر السر .

٣- أحاسيس وغرائز إخوة يوسف الشاذة التي يمكن حملها على الوهم فليس لها دافع حقيقي أو واقعي ولا غاية نافعة أو صادقة وقد أدت إلى نتائج سيئة منها :

أ- الإعداد بخطة مرسومة للقتل .

ب- إقناع أبيهم ومن ثم استسلامه للقضاء الإلهي

ج- تعلمهم من أبيهم حيلة الذئب.

د- قتل زمن الأسرة النبوية وشتات الابن وثبات إحساس المحبة والعشق والغربة والفراق.

ويلاحظ ان أفعال وأحاسيس إخوة يوسف حسية غريزية تستند إلى دافع الحسد والغيرة وهي لا تؤشر إلى منهج عقلي

يجاري ما سينتهي إليه السلوك في المستقبل ،بل يرتد إلى نكوص إلى الماضي الذي يحمل بين جنباته الكراهية والحسد وتنميتهما خلال تلك الأيام الماضية، وكانت النتيجة انهم قاموا برمي أخيهم على الأرض وضربه بقسوة ثم محاولة ذبحه وعدلوا عن ذلك بأثر عاطفة احدهم فجردوه من قميصه ورموه في البئر وانتظروا كي يتأكدوا من موته!!!! من كل ذلك وبعد حيلة وسم قميص أخيهم بالدم لإقناع أبيهم بان الذئب أكله، لا نجد إحساسا بالندم أو الذنب أو بالشفقة والرأفة والورع ونلاحظ أيضا غياب العقل وبروز الغرائز والأحاسيس السيئة.

وبشكل اعتراضي علينا ان نسال على سبيل الموعظة والرحمة، كيف كان حال وشعور أبيه وهو يودعه ويبكي وقد البسه ثيابه وأصلح شعره(كما تروي الروايات) وكيف أوصى أولاده بالحاح بحراسته وإطعامه وسقيه والتظليل له من الشمس وحمله عند التعب لأنه طفل صغير في بيئة قاسية، وكيف كان شعور وإحساس يوسف(عليه السلام) وهو يضرب أو حينما أرادوا قتله أو تركه عند البئر وهو طفل صغير هل اختلفت مشاعره كطفل في تلك اللحظة مع قضية استيعابه للوحي الإلهي الذي كان يقول له (لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون) هل قال بأنه سوف ينتقم من هؤلاء الذين عدموا الرحمة ،هل فقد تحكمه بالعقل لتظهر غرائزه التي ستحمل مسوغا معقولا على وفق نظرتنا نحن البشر –

لا الأنبياء – على اعتبار ان إخوته ظلموه وأرادوا قتله من دون مسوغ ،الجواب كلا بالتأكيد ،ونهاية القصة تدل على هذا النفي.

١- إحساس زليخة المفرط وعقل يوسف(عليه السلام) الثابت إذمر يوسف بابتلاءات عديدة لعل أشدها (كما افهم) بلاء زليخة، ومن الواضح ان صورة الجمال اليوسفي جعلها تفقد السيطرة (مع نسوة المدينة) على مشاعرها وعقلها ومركزها الاجتماعي، ولقد أدى فقدان السيطرة على الأحاسيس إلى ان تعرض على يوسف نفسها ثم هاجمته واتهمته وشكته وسجنته، ولكن أليس هذا تناميا سريعا ومتفجرا ومتسلسلا لتلك المشاعر، انا أظنها(بالرغم من سوء استخدامها) مشاعر صادقة وإنها لغرابة ان تحس امرأة بهذا الجمال اليوسفي وهي لا ترتبط بصلة رحم مع الصديق بعكس إخوته الذين حاولوا قتله، بل ان المرأة شعرت بالندم كإحساس صادق منذ البداية وقالت الآن حصحص الحق

ومن جهة أخرى أنت لا تجد مشاعر وأحاسيس متفجرة لدى الصديق يوسف بالرغم من الإغراءات، هذا لأنه ملك عقله وكان إحساسه مزيج من العزة بالكرامة والألم والحياء (برغم عدم ارتكابه ذنب).

٢- كان إحساس يوسف في السجن مزيجا من الحزن والألم والبكاء، وأيضا إحساس بالمحبة للناس ، وبعاطفة الرحمة تذكر أباه وكانت ملكاته الرحيمة تتوزع على إعانة الضعيف والمريض في السجن، وذلك يعني انه لم يتأثر بحالة الترف التي عاشها ولكنه أحس بالضيق من السجن ولهذا قام بالدعاء والفرج.

٣- وفي قصة يوسف جملة أخرى من الأحاسيس منها

أ- إحساس يوسف عند رؤية إخوته بعد ٤٠ سنة.

ب- أحاسيس أخوه الشقيق وإحساسه بأخيه عند رؤيته.

ج- إحساس أبيه الذي اعتمد على حاسة شم عطره في القميص.

ولا توجد صورة تعج بالمشاعر في هذه القصة أكثر من التقاء يوسف بابيه وفيها اجتمع الحزن والبكاء والرحمة، وهي صورة تدلل على قيمة المشاعر الإنسانية وأهميتها.

النتائج

ومن التوصيات التي أرجو أن تؤخذ بعين الاعتبار، التي تعبر عن اهتمام بتنمية الفكر القرآني :

١. أن تعقد المؤتمرات العلمية الخاصة بالقرآن الكريم في العراق على نطاق عالمي وبشكل مبتكر ومنتج .
٢. ان تكرس البحوث في المؤتمرات لتتناول موضوعات محددة متخصصة ومركز في الفكر القرآني .
٦. الدعوة لمشاركة اغلب مراكز الدراسات في العراق ومنظمات المجتمع المدني المختصة في البحث والتحليل لنصوص القرآن الكريم لإشراك اكبر قاعدة جماهيرية في محاولة البناء الجاد للفكر القرآني .
٤. يجب نقل هذه المؤتمرات بشكل مباشر من خلال الفضائيات ووسائل الإعلام لما تقدمه هذه العملية من نهضة إعلامية تجاه القرآن الكريم وعلومه .
٥. ان تعطى الحوافز الكبيرة للبحوث الجادة والمهمة لرفع الروح المعنوية للباحث أولا ولحثه على تقديم المزيد من النتاج.
٦. طرح طرق جديدة للتنمية الخاصة بالقرآن الكريم وابتكار كل ما من شانه التقدم خطوة إلى الأمام ، وترك وإهمال البحوث التي لا تعبر عن إمكانية طموحة

للبناء والتنظير ووضع الأسس الصحيحة ،بالإضافة إلى إدخال المناهج التنموية القرآنية إلى المدارس والجامعات .

٧. تنمية الدراسات المستقبلية الخاصة بالقرآن الكريم ،الأمر الذي يشكل مواكبة للتقدم العلمي الحاصل في دول العالم ، ولإثبات ان القرآن الكريم كتاب ينظر إلى الفعل الإنساني القادم لا النظر إلى الأفعال الإنسانية الماضية او الحالية فقط .

٨. محاولة استنباط وابتكار العلوم المختلفة بدلا من انتظار خروجها على يد الدول الأخرى ، وبدلا من مقارنة الإنتاج العالمي المكتشف في مجالات الطب والإدارة والاقتصاد والنظريات الاجتماعية والنفسية والفكرية بالقرآن الكريم فتحيلنا تلك العملية الى مجرد مقارنين لا مكتشفين او مبتكرين .

٩- ان علينا تناول كل ما هو غير تقليدي في مجال بحث العلوم القرآنية ،ومن ذلك تناول المفاصل المحورية في القرآن (بنية القرآن الفكرية)مع تناول المصطلح الفكري وتقديمه الى المجتمع بشكل واضح .

وأخيرا ان الاهتمام بالزاوية المهمة في القرآن وهي الأحاسيس إنما يكون لحاجة المجتمع إلى مثل هذه المواضيع ، فيتم التطرق

إلى حياة الأنبياء الاجتماعية بصورة أكثر من تقريبية والى حياة الأمم القديمة من زاوية العيش واستشعار أحاسيسهم وحياتهم ،وتحليل الفن القصصي في القرآن واستثماره ، كي نبدأ بتصنيع الوعي القرآني الجاد على مستوى الأفراد والمؤسسات واستخدام الطرق الجديدة والمناهج التي تتبنى وتطور ذلك الوعي .

المصادر

١- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ،طبعة ذوي القربى ،ط٣، قم، ١٣٨٤هـ..

٢- الميرزا محمد المشهدي ،تفسير كنز الدقائق ،ط١، جماعة المدرسين ،قم ،١٤٠٧ق.

٣- د.احمد عزت راجح، اصول علم النفس، ط١٩٦٨، ٧، القاهرة .

٤- الصدوق ،علل الشرائع، النجف ،١٩٦٦م.

٥- المجلسي(محمد باقر/ت١١١١هـ)، بحار الأنوار ،مؤسسة الوفاء، ١١٠ جزء ،بيروت ، ١٩٨٣م .

٦- د. محمود البستاني،دراسات في علم النفس الإسلامي ،٢مجلد ، ط١، دار البلاغ، بيروت، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٧- د.محمود البستاني، علم النفس في ضوء المنهج الإسلامي، ط١ ،قم، ١٣٨٢هـ.

٨- الطبرسي(احمد ابن علي/ت٥٦٠هـ)، الاحتجاج، تحقيق السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان، النجف ،١٣٨٦ هـ- ١٩٦٦م .

٩- الإمام علي ،نهج البلاغة ،شرح محمد عبده ،دار المعرفة، ٤ أجزاء، بيروت .

١٠- السرخسي(علي ابن ناصر/ ق٦)أعلام نهج البلاغة ،ط١ ،طهران، ١٤١٥ هـ.

١١- محمد باقر المحمودي، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، ٨مجلد، ط٨، النجف، ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م.

١٢- القاضي سعيد القمي /ولد١٠٤٩هـ) التعليقة على الفوائد الرضوية،قم،١٤١٥ق- ١٣٧٤هـ.ش .

١٣- الشيخ الطوسي ،تفسير التبيان،تحقيق وتصحيح احمد حبيب قصير، ط١٤٠٩، ١ .

١٤- علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي ،تصحيح وتعليق ،طيب الجزائري،ط٢،قم،١٤٠٤ .

المحتويات

مقدمة ٥

الفصل الأول : مفهوم الشيء في القرآن الكريم ١١

الفصل الثاني : الفكر المستقبلي في القرآن الكريم ٤٧

الفصل الثالث: الحداثة النسبية والحداثة القرآنية المطلقة ٧٩

الفصل الرابع : الأحاسيس في القرآن الكريم ١١٣

دراسات في الفكر القرآني

د. رحيم الساعدي

ولد في بغداد 1971

رئيس مركز الشرق الأوسط للدراسات الفكرية

مدير المركز العلمي العراقي 2009-2010

رئيس قسم الدراسات المستقبلية في المركز العلمي العراقي

عمل في وزارة الدولة لشئون المجتمع المدني 2005 - 2008

بكلوريوس في الفلسفة /كلية الآداب - جامعة بغداد

ماجستير في الفلسفة / كلية الآداب - جامعة بغداد

دكتوراه في الفلسفة / كلية الآداب - جامعة بغداد

تدريسي في الجامعة المستنصرية - كلية الآداب

صدر له الاتجاهات الفكرية عند الإمام علي - بغداد

المهدي المنتظر -الفكرة والحقيقة - بغداد

الحداثة النسبية والحداثة القرآنية المطلقة (مع مجموعة باحثين)

دراسات في الفكر القرآني

مقدمة في علم الدراسات المستقبلية(قيد النشر)

له العديد من البحوث العلمية المنشورة في المجلات والانترنت

عشرات المقالات في الصحف العراقية والانترنت

العديد من كتب الشكر وشهادات التقدير

تصميم الغلاف
علي محسن

الطبعة الأولى 2010

دار الفراهيدي للنشر والتوزيع